سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى
عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الثانية | العدد (76) | 03 آذار 2013 | أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

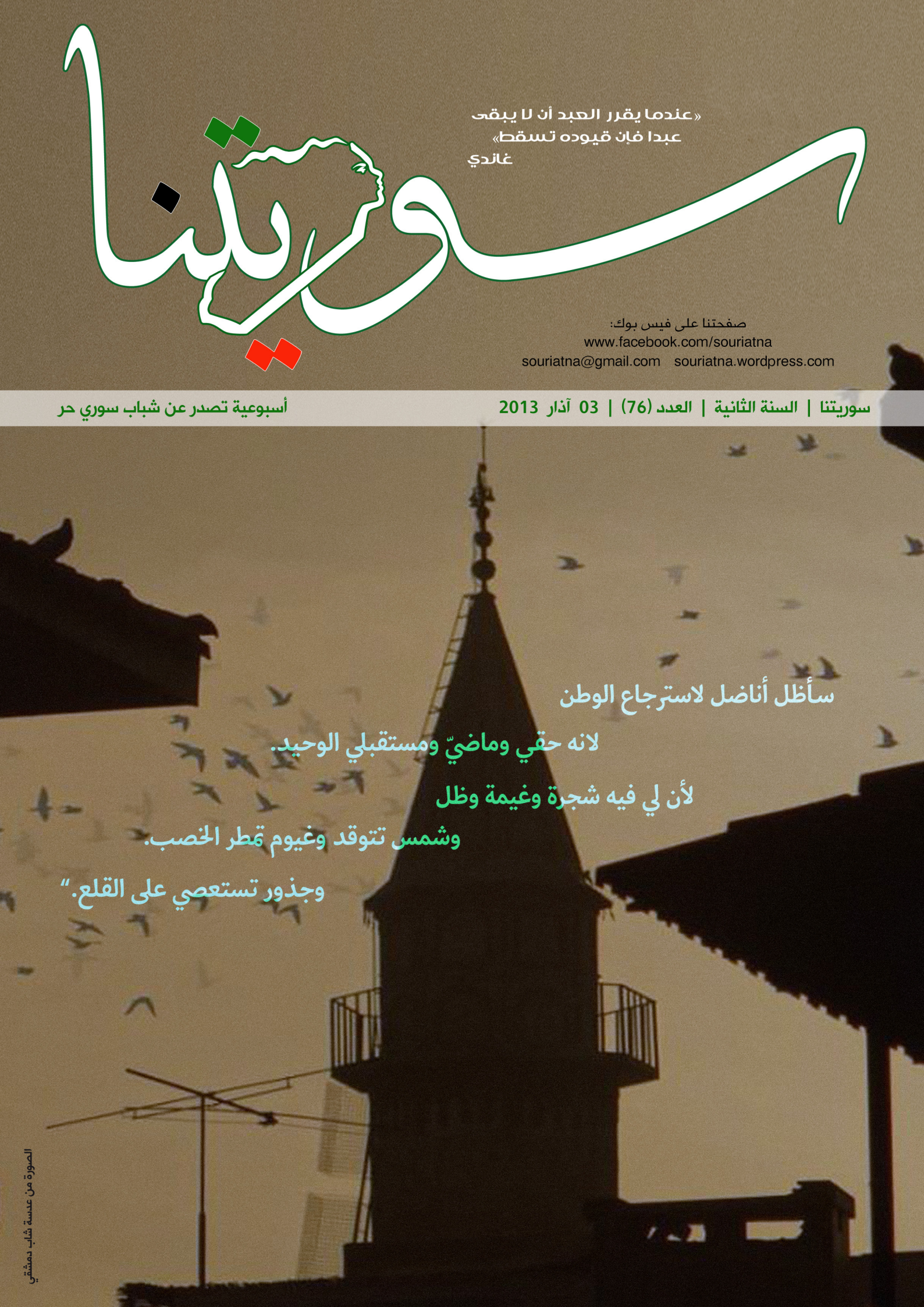

سأظل أناضل لاسترجاع الوطن

لانه حقي وماضيّ ومستقبلي الوحيد.

لأن لي فيه شجرة وغيمة وظل

وشمس تتوقد وغيوم تمطر الخصب.

وجذور تستعصي على القلع.“

الصورة من عدسة شاب دمشقي

ارتفاع عدد اللاجئين السوريين في مخيم الزعتري ضمن ظروف إنسانية صعبة

ارتفع عدد اللاجئين السوريين في مخيم الزعتري إلى (105700) لاجئ في أعقاب عبور أكثر من ستة آلاف لاجئ سوري جديد خلال الأيام الماضية إلى الأردن.

وقال الناطق الإعلامي لشؤون اللاجئين السوريين في الأردن أنمار الحمود، أن تدفق اللاجئين إلى الأردن لم يعد بمقدور الدولة التعامل معه ما يتطلب تضافر جهود كافة المؤسسات الدولية والعربية لتخفيف انعكاساته السلبية التي تطال المملكة في كافة الجوانب.

وأضاف أن الحكومة ستعمد إلى استخدام مخيم رباع السرحان ليكون مركز استقبال للاجئين السوريين حال دخولهم الأردن بعدما يتم تجهيزه من قبل المفوضية السامية لشؤون اللاجئين.

وأشاد الحمود بدور القوات المسلحة الأردنية من خلال تحملها العبء الأكبر في التعامل مع اللجوء بعدما يتم استقبالهم على الشريط الحدودي وتأمين الغذاء والمأوى لهم ونقلهم إلى مركز الترانزيت في المفرق على أن يتم توديعهم إلى مخيم الزعتري.

في غضون ذلك صدر بيان حول " تجديد حملة إغاثة أطفال سوريا بمخيم الزعتري في الأردن ". وجاء في البيان: " ضمن حملة فلسطين، لإغاثة أطفال مخيم الزعتري، يجدد "شباب التغيير" و "حَراك حيفا" و"باقة شباب " ومجموعات متطوعين وناشطين محليين، حملة التبرعات لأطفال ولاجئي مخيم الزعتري، مخيم اللاجئين السوريين في الأردن، والذي يحوي ما يزيد عن مائة ألف لاجئ، محاطون في مساحة صغيرة، في ظل ظروف تفوق طاقة البشر ".

وأضاف البيان: " وتأتي هذه الحملة لمد يد العون من منطلقات إنسانية خالصة، لأطفال ونساء وشيوخ وشباب باتوا شظايا للممارسات الوحشية في وطنهم، مئة ألف إنسان يعيشون في ما يشبه القفر، في العراء، ينقصهم الغذاء والدواء وماء الشرب أحيانا. تعبيراً منا وتحقيقاً لإنسانيتنا وتماثلنا كشعب فلسطيني مع آلام الشعب السوري، نتوجه بالنداء للتبرع وجمع اكبر مبلغ ممكن، يقدم باسم أبناء شعبنا ليخفف ولو بالقليل من مأساة أطفال ولاجئي مخيم الزعتري.

من أهم الدوافع وراء الحملة، هو الاهتمام الواسع الذي لاقته الحملة الأولى رغم تواضعها، فقد استطعنا إيصال شاحنتين من الأجهزة الطبية والأغطية الدافئة والأغذية، ولمسنا بأنفسنا حجم الكارثة الإنسانية في مخيم الزعتري، بالذات الناحية الصحية ونقص العلاج والأدوية. حيث ستخصص الحملة الحالية لتلبية حاجات لا تحمل التأخير، مثل الأدوية والأدوات الطبية للمصابين والمرضى ولمن فقدوا أطرافهم، وفق قوائم تم تنسيقها مع ناشطين ومتطوعين في المخيم ".

وتابع البيان: " في أعقاب الحملة الأولى أبدى الكثير من أبناء شعبنا الرغبة بالتبرع والمساهمة، وقد بدأت هذه التبرعات بالوصول، وستمتد الحملة خلال شهر آذار، وسيصل الوفد المرافق للحملة إلى الأردن بعد ذلك بأيام، حيث سيتم شراء الإعانات المطلوبة ونقلها وتوزيعها مباشرة للاجئين داخل المخيم.

وكما في الحملة السابقة، سيتم نشر أسماء جميع المتبرعين، ومبالغ التبرع إضافة لنشر الوصولات وفواتير الشراء في الأردن كاملة، حيث ستقتصر التبرعات على النقود فقط، وذلك لصعوبة نقل المواد الأخرى عبر الحدود.

كونوا اليد التي تمتد لأبناء الشعب السوري في محنته".

وفي الشأن الإنساني أيضاً في مخيم الزعتري أصيب رجل أمن أردني وطفلان سوريان خلال تفريق قوات الدرك الأردني أعمال شغب جديدة اندلعت مساء الأحد بالمخيم، بحسب ما أفاد به مصدر رسمي.

وقال المنسق العام لشؤون اللاجئين السوريين في الأردن أنمار الحمود لوكالة الأنباء الفرنسية إن "الدرك اضطر لاستخدام الغاز المسيل للدموع لتفريق حوالي مائتي لاجئ سوري قاموا بأعمال شغب جديدة".

وأوضح أن "رجل أمن أصيب جراء رشق هؤلاء لقوات الأمن بالحجارة، كما أصيب طفلانا بشبه حالة اختناق ونقلا إلى المستشفى، وحالتهما جيدة الآن".

وأشار الحمود إلى أن "أعمال الشغب بدأت عقب دخول محسن عربي إلى المخيم وتوزيعه مبالغ مالية على لاجئين، وتعرضه لاعتداء إثر نفاد المال منه، ولطمه لأحد اللاجئين محاولا إبعاده، مما استدعى تدخل الأمن".

إلا أن لاجئين في مخيم الزعتري (85 كلم شمال شرق عمان) ادعوا أن الشغب اندلع على خلفية "تحرش رجل درك بلاجئة أثناء محاولتها الفرار وعائلتها من المخيم".

ومن جهته، قال المرصد السوري لحقوق الإنسان - في بيان - إن "عددا من اللاجئين أصيبوا بجروح خلال اشتباكات مع الشرطة الأردنية، بعد تظاهرهم احتجاجا على تحرش سائقين ورجال أمن أردنيين بلاجئات سوريات".

لكن الحمود نفى تلك "الشائعات وشائعة أخرى تحدثت عن خروج ثلاث فتيات من خيام عائلاتهن بالمخيم وعدم عودتهن إليها".

ويقول الأردن إن عدد السوريين الذي لجؤوا إليه هربا من النزاع الدائر في بلدهم تخطى 400 ألف لاجئ، يقطن حوالي 100 ألف منهم في مخيم الزعتري بمحافظة المفرق، شمال المملكة قرب الحدود السورية.

اليونيسف تعلن توسيع نطاق عملياتها الإنسانية بسوريا والنظام يصعد بالهجمات الصاروخية

أعلنت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف) بأنه على الرغم من تفاقم العنف في سوريا، والنقص الكبير في التمويل، فقد تمكنت المنظمة من توسيع نطاق عملياتها وزيادة إيصال المساعدات الإنسانية، واستهداف أعداد متزايدة من المواطنين، تفوق الأربعة ملايين شخص ممن يحتاجون للمساعدات الإنسانية.

وفي بيان لها حول عملياتها في سوريا، أشارت اليونيسف إلى أن نصف إجمالي سكان البلاد المتضررين هم من الأطفال، الذين نزح الكثيرون منهم عن ديارهم بسبب النزاع، ويعيشون في ملاجيء جماعية مع القليل من أمتعتهم، وأضافت اليونيسيف أن هؤلاء الأطفال غالبًا ما يفتقرون إلى أبسط المقومات الأساسية.

وقد تمكنت المنظمة من تقديم إمدادات الإغاثة الضرورية مثل البطانيات وملابس الأطفال ومستلزمات النظافة والبسكويت عالي الطاقة.

وقال يوسف عبد الجليل، ممثل اليونيسيف في سوريا: إن العديد من عمليات إيصال المساعدات الإنسانية قد تمت كجزء من عملياتها عبر خطوط القتال، مضيفًا، أن اليونيسيف كانت جزءًا من البعثة المشتركة من ثماني وكالات للأمم المتحدة قامت في الآونة الأخيرة بإيصال أول دفعة من الإمدادات الحيوية والمنقذة للحياة إلى ستة آلاف نازح في منطقة الكرامة بشمال غرب سوريا.

كما عبرت منظمة اليونيسف عن صدمتها العميقة واستيائها الشديد مما وردها من تقارير مروعة حول مقتل ما لا يقل عن 70 طفلاً نتيجة ضربات صاروخية في مناطق سكنية في حلب في 18 و 22 من فبراير الحالي.

وفي بيان صدر عن المنظمة الدولية، أدانت ماريا كاليفيس، المدير الإقليمي لليونيسف لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا هذه الهجمات بأشد العبارات، وتكرر دعوتها لجميع الأطراف من اجل ضمان حماية المدنيين وخصوصاً الأطفال، في كافة الأوقات.

وكانت أربع هجمات بالصواريخ قد تسببت في مقتل مدنيين في أحياء جبل بدرو وطريق الباب وأرض الحمرا وتل رفعت في ضواحي حلب.

وفي 21 فبراير انفجرت قنبلة كبيرة في منطقة المزرعة، إحدى ضواحي العاصمة دمشق، متسببة في مقتل60 شخصاً، بينهم ما لا يقل عن 20 طفلاً كانوا متواجدين في أحد فصول مدرسة عبدالله بن الزبير الابتدائية.

وتظهر هذه الهجمات المعاناة الشديدة التي يلاقيها المدنيون، والأطفال منهم بشكل خاص، نتيجة النزاع الدائر والحاجة الملحة لوضع حد للأزمة التي اندلعت قبل عامين والتي تمزق نسيج المجتمع تدريجياً.

في غضون ذلك قالت هيومن رايتس ووتش إن الحكومة السورية أطلقت 4 صواريخ باليستية على الأقل فأصابت مناطق مأهولة بالسكان في مدينة حلب وبلدة بمحافظة حلب خلال أسبوع 17 فبراير/شباط 2013. قتلت الهجمات أكثر من 141 شخصاً، بينهم 71 طفلاً، وأدت إلى دمار مادي واسع النطاق.

يوحي مدى الدمار الناجم عن الهجمة الواحدة، وغياب الطائرات عن المنطقة وقتها، والتقارير التي تفيد بانطلاق صواريخ باليستية من قاعدة عسكرية قريبة من دمشق، يوحي هذا كله على نحو لا يدحض بأن القوات الحكومية استخدمت الصواريخ الباليستية في ضرب المنطقة. زارت هيومن رايتس ووتش مواقع الهجوم الأربعة، وكلها في مناطق سكنية، ولم تجد أثراً لأهداف عسكرية حول المواقع الأربعة، مما يعني أن الهجمات غير مشروعة.

قال أوليه سولفانغ، باحث الطوارئ في هيومن رايتس ووتش الذي زار المواقع: "زرت العديد من مواقع الهجوم في سوريا، لكنني لم أر مثل هذا الدمار قط. يظن المرء أن الأوضاع لا يمكن أن تتدهور أكثر من هذا، فإذا بالحكومة السورية تجد طريقة لتصعيد تكتيكاتها العسكرية".

كتاب العدد لهذا الأسبوع:
سوريا لا خبز ولا حرية
الكاتب البريطاني: آلن جورج
ترجمة الدكتور: حصيف عبد الغني

أوجاع وطن

محرك اتجاهات جوجل:
اللحظة التي تحولت فيها "الثورة" السورية إلى "حرب أهلية"

■ كتبه ماكس فيشر في الواشنطن بوست | ترجمه نورس مجيد

يحدد محرك اتجاهات جوجل عدد المرات التي يدخل فيها مستخدمو محرك البحث (جوجل) عبارة معينة للبحث خلال زمن معين. ومع أن هذا المحرك لا يعطي بالضرورة نتائج دقيقة إلا أنه يساعد في كشف الطريقة التي ينظر الناس من خلالها إلى قصة معينة. استناداً إلى بيانات محرك البحث، يبدو أن العالم (أو بالأحرى المخطط البياني الذي يستخدمه جوجل) بات في طريقه لاعتبار الصراع في سورية، والذي مازال قائما منذ 21 شهراً، على أنه "حرب أهلية" أكثر منه "ثورة" أو "انتفاضة".

خلال معظم مراحل الصراع في سورية، كان مستخدمو محرك البحث جوجل أكثر ميلاً للبحث عن عبارة "الثورة السورية" وليس "الصراع السوري" أو "الحرب الأهلية السورية"، وربما كان ذلك إرثاً قدمته الثورتان السابقتان في مصر وتونس حيث طغى الطابع السلمي للاحتجاجات إلى حدٍ كبير على مجرى الأحداث في البلدين. الحالة كانت مشابهة أيضاً في سورية لعدة أشهر، فمنذ انطلاق الاحتجاجات الشعبية العارمة في سورية في أبريل من عام 2011، مثلت كلمة "الثورة" 99 في المئة من عمليات البحث بين المصطلحات الثلاثة السابقة. وبقيت حصتها من عمليات البحث عالية مقارنة بالكلمات المفتاحية الأخرى خلال 2011، لكنها بدأت تتراجع تدريجياً مع لجوء أكثر السوريين إلى حمل السلاح في أواخر العام الماضي.

لقد ظلت عبارة "الثورة السورية" هي عبارة البحث السائدة حتى عندما قام نظام بشار الأسد باستخدام أسلحة أكبر وأثقل لقمع الاحتجاجات المتزايدة ضده، وحتى عندما تسبب دباباته وطائراته ومدفعيته بمقتل الآلاف من الناس.

لكن بعد ذلك، وتحديداً في 18 تموز/يوليو، قام الثوار بعملية تفجير استهدفت مقراً حكومياً في دمشق ما أسفر عن مقتل ثلاثة من كبار مساعدي الأسد. في هذا السياق، اعتبرت ليز سلاي وباباك ديغانبيشه من الواشنطن بوست هذه العملية بأنها "لحظة محورية" في الصراع، ويبدو أن تصوراً مشابهاً كان قد بدأ يتشكل في بقية أنحاء العالم أيضاً. عبارات "الحرب الأهلية" و "الصراع" ارتفعت معدلاتها في عمليات البحث التي سجلها محرك جوجل، وهو ما يظهر بوضوح في المخطط البياني، لكن "الثورة" بقيت مع ذلك العبارة المهيمنة.

ليس من الواضح تماماً ما الذي حدث بالضبط في أيلول/سبتمبر بحيث تجاوزت عبارة "الحرب الأهلية" كلمة "الثورة" لتصبح العبارة الأكثر بحثاً، سيما وأن القتال بين المتمردين والنظام كان قد سيطر لعدة أشهر قبلها على النشرات الإخبارية. يبدو أن ثمة تسلسلاً سريعاً للأحداث كان يقود تحول الرأي العام تجاه الصراع بهذه الطريقة. في يوم 22 سبتمبر، قام الجيش السوري الحر بنقل مقر قيادته من تركيا إلى منطقة يسيطر عليها المتمردون في سورية، بعد ثلاثة أيام من ذلك سقطت قذيفة هاون سورية على جزء من هضبة الجولان تسيطر عليها إسرائيل، وهو ما عزز مخاوف إسرائيل (غير المكتملة بعد) من الدخول في هذا الصراع، كما أن القتال بدأ يصل إلى لبنان المجاورة. وعلى الرغم من أن أياً من هذه الأحداث لم يكن كافياً لوحده لتغيير الانطباع العام تجاه الصراع في سورية، إلا أنه ثمة احتمالاً من أن هذه الأحداث أسهمت مجتمعة في توجيه الرأي العام في ذلك الاتجاه.

في الوقت الحالي، يفوق عدد من يبحثون عن كلمة "حرب أهلية" في محرك البحث جوجل بثلاثة أضعاف عدد الذين يبحثون عن عبارة "الثورة السورية". وقد أعلنت المفوضة السامية لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة منذ أسبوع واحد، بأن البلاد باتت في خطر وشيك للدخول في "حرب أهلية شاملة." قد تكون المفوضة السامية مؤهلة للحكم على ما يجري في سورية أكثر من المليار مستخدم الذين يبحثون في موقع جوجل، لكن وفقا للحكمة التي يراها هذا الحشد الكبير من الناس تحديداً، فقد عبرت سورياً ذلك الخط بالفعل تجاه الحرب الأهلية.

حراكنا السلمي والمدني (شارع سوريتنا)

سوريتنا | شام داود

171 مظاهرة في 137 نقطة تظاهر

أحصى المركز السوري المستقل لإحصاء الاحتجاجات 171 مظاهرة في 137 نقطة تظاهر في مختلف أنحاء سورية، في جمعة "أمة واحدة، راية واحدة، حرب واحدة".

مبادرات وتظاهر

ذكر مراسل شبكة شاهد من قلب الحدث أن سكان قرية "حريصون" التابعة لمدينة بانياس استيقظوا منذ مايقارب الأسبوع ليجدوا بعض الشوارع ملأتها صور لنقود من فئة الألف ليرة وقد شوهت صورة "حافظ" فيها وكتابات للحرية وإسقاط النظام ودعوة الشباب للتعايش والالتحام بصفوف الثورة وحملت توقيع "نحل الساحل"، استمراراً للحملة القائمة منذ أسبوعين.

أما في قرية "سربيون" التابعة لمحافظة اللاذقية فذكر مراسلنا أنه تم إلقاء منشورات تدعو الشباب لعدم الالتحاق بالاحتياط.

قرية "قرفيص" حيث يوجد مزار لأحد شيوخ القرية "الشيخ حسن الدرسيني" وجد أهالي القرية البارحة حيطان المزار مملوءة بكتابات أمثال "يسقط بشار، يسقط النظام، حرية" الأمر الذي هز أهالي القرية والقرى المجاورة لما يحمله هذا المزار من قيمة دينية.

وفي مدينة السلمية وفي تكثيف للحراك السلمي في الأسبوع الماضي فقد خرجت ظهراً يوم الخميس مظاهرة طلابية بجانب فرن زعرور نادت بإسقاط النظام وهتف فيها الأحرار لنصرة المدن المنكوبة.

وضمن مظاهرات يوم الجمعة خرجت مظاهرة مسائية لأحرار المدينة في حارة القدامسة قرب ساحة الحرية هتف فيها الأحرار للحرية وإسقاط النظام ونصرة المدن المنكوبة.

وعلى صعيد آخر وفي مدينة السويداء فقد اعتصم الكثيرين أمام دوار الزنبقة على روح الشهيد ناصر جمول وساروا في مظاهرة نحو مدرسة نايف جربوع.. بهتافات وطنية تحي الشهيد و شهداء الوطن أجمعين.. و تكرّر شعار الثورة: واحد واحد واحد.. الشعب السوري واحد

يذكر أن مدينة السويداء قد خرجت في تشييع مهيب للشهيد ناصرجمول يوم الثالث والعشرين من شباط الماضي.

الشهيد ناصر عادل جمول، فتى في الصف الحادي عشر، كان قد اختطف منذ قرابة الشهر على يد عصابة مجهولة، وقد طالبت العصابة مقابل إخلاء سبيله بفدية مالية بلغت عشرة ملايين ليرة. وعثر على جثمانه لاحقاً.

ورشة رسم وطيارة ورق

ضمن مجموعة مشاريع تعنى بالأطفال والتنمية في المناطق المحررة.. أقام تجمع نبض للشباب المدني السوري ومنظمة سوريات من اجل التنمية ورشة رسم ضمت قرابة الـ100 طفل في منطقة بستان القصر في مدينة حلب، كما تم توزيع الهدايا على الأطفال، وكانت أغلب رسوم الأطفال تضم البيوت والأشجار والنجوم وعلمي سوريا والثورة.

وفي مبادرة لافتة ضمن مبادرات لخلق إعلام حر ومتجدد فقد أطلق ناشطون ضمن مجموعة الدعم النفسي للأطفال بالتعاون مع الحراك السلمي السوري وجريدة عنب بلدي جريدة جديدة باسم طيارة ورق.

يصدر العدد صفر من هذه المجلة الأولى من نوعها منذ انطلاقة الثورة السورية وهي موجهة للأطفال بين سن السابعة والرابعة عشر، وتعمل على غرس قيم المساواة والعدالة والإبداع لدى الأطفال منذ صغرهن، كما تسعى المجلة أن تقدم لقرائها ما يحقق الفائدة والمتعة لهم باعتماد مواد إبداعية جديدة من إنتاج فريق العمل.

ورشة رسم الأطفال ضمن نشاط تجمع نبض للشباب المدني السوري وسوريات من أجل التنمية

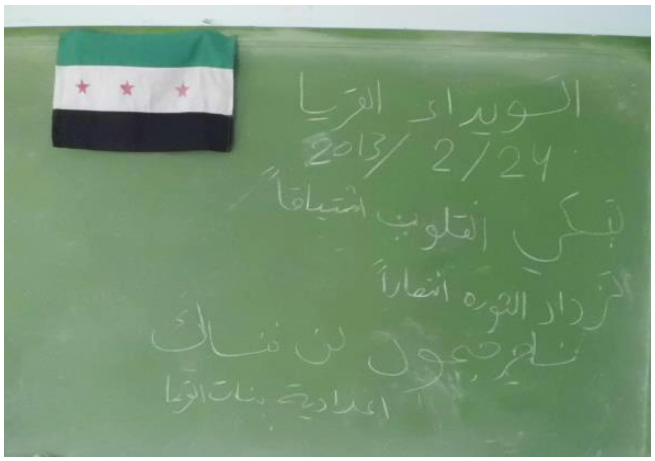

من الصحافة الغربية

ترجمة وإعداد: سعاد يوسف

مقابلة مجلة الايكونوميست مع الفنان السوري وسام الجزائري

بعد غلاف مجلة الايكونوميست بعنوان "سوريا: موت بلد" والذي أثار ضجة كبيرة، حيث يصور سوريا بأنها تدمرت واندثرت، عادت المجلة لتنشر رد الفنان السوري وسام الجزائري على غلافها السابق. حيث قام الفنان بإضافة مرحلة إعادة إعمار سوريا تظهر فيها بلداً جميلاً ملوناً يبنى بأيدي أبنائه.

وقالت المجلة:

لا يتفق الجميع مع غلاف المجلة الذي نشرناه الأسبوع الماضي والذي عكس التدمير التدريجي لسوريا نتيجة للحرب الدائرة بين الرئيس بشار الأسد والمتمردين الذين يحاولون الإطاحة به. إلا أن جانباً واحداً من البلد لم يتم تدميره وهو الإبداع. ففي 25 شباط أخذ المصمم السوري وسام الجزائري على عاتقه تغيير الصورة المذكورة، وقام بإضافة مرحلة إعادة إعمار البلاد بعد انتهاء الحرب الدائرة. "الغلاف الأساسي حمل فكرة قاتمة للغاية عن الوضع في سوريا"، يقول الجزائري. "صحيح أن هناك قتال بين الناس ولكن هذه هي الحرب، والموت هو ضريبة الدم من أجل الوصول إلى مستقبل أفضل". وسام لا يزال متفائلاً، وذلك بسبب ما وصفه بـ"سلام" الشعب السوري. "لقد بدأنا ثورتنا للحياة والحرية والعدالة والمساواة،" يقول. "وكما قال الشاعر أبو القاسم الشابي: "إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر".

www.economist.com/blogs/economists-/02/pomegranate/2013syria-cover?fsrc=scn%2Ffb%2Fwl%2Fbl%2Famoreoptimisticversion

اعتقال شاب سوري - ايرلندي في الإمارات العربية المتحدة

تم اعتقال الشاب خالد البيرقدار منذ حوالي شهر في دولة الإمارات العربية المتحدة. وتقول عائلة خالد (وهو سوري – ايرلندي الجنسية) بأن الاعتقال هو نتيجة نشاطه المعارض للنظام السوري.

وقد تم استدعاء خالد الذي يعيش في أبو ظبي، لاستجوابه في كانون الأول الماضي. وسئل عن الأموال التي يتم إرسالها إلى سوريا وعن رأيه تجاه النظام السوري والانتفاضة، وذلك كما أفاد شقيقه محمد، الذي يعيش في بلفاست. وقال خالد حينئذ بأنه يرسل المال إلى والده وأنه لن يتوقف عن دعم الثورة.

وبعد أسبوع، تم إيقاف البيرقدار في المطار عندما كان مسافراً إلى إيرلندا ولم يسمح له بمغادرة الإمارات العربية المتحدة. واستدعي مرة أخرى للاستجواب في 7 شباط وبعد ذلك اختفى.

يقول شقيقه "نحن قلقون جداً على سلامته. هناك حالات عديدة من الناشطين السوريين الذين تم إلقاء القبض عليهم في دولة الإمارات العربية المتحدة وأجبروا على التوقيع على تعهدات بإيقاف نشاطهم المعارض".

ويبقى وضع خالد أكثر تعقيداً لأنه لم يكن موجوداً في الإمارات العربية المتحدة بجواز سفره الإيرلندي وبالتالي فإن السلطات المحلية غير ملزمة بإعطاء أي معلومات عنه للمسؤولين الايرلنديين.

www.irishtimes.com/newspaper/html.1224330607105/0228/ireland/2013

قائمة البلدان الأكثر بؤساً في العالم

نشر موقع "بيزنس انسايدر" قائمة للدول الأكثر بؤساً في العالم وحلت سوريا في المرتبة العاشرة. وذكر الموقع أن اقتصاد سوريا يسير نحو الأسوأ منذ بداية الأزمة في العام 2011. كما أن مؤشر الناتج المحلي الإجمالي انكمش بسبب العقوبات الاقتصادية وخفض الناتج والاستهلاك المحلي. إضافة إلى ارتفاع معدل البطالة (والذي ازداد حوالي 3٪ في العام 2012) والتضخم الكبير الذي يعاني منه الاقتصاد السوري بسبب انهيار الليرة.

يذكر أن الناتج المحلي الإجمالي هو مؤشر اقتصادي يستعمل لقياس الانتاج المحلي في دولة معينة خلال مدة محددة.

بعض الأرقام المذكورة:

مؤشر البؤس: 51.7

معدل التضخم 33.7 ٪

نسبة البطالة: 18٪

money.ca.msn.com/savings-debt/gallery/the-most-miserable-places-in-the-world?page=17

سوريا: خلف خطوط الثوار وثائقي من سي بي سي

فيلم من إعداد الصحفية المخضرمة رانيا أبو زيد وتم تصويره بطريقة سينما الواقع وذلك في محافظة إدلب. ورانيا كانت دوماً في الخطوط الأمامية لتغطية الاحتجاجات السورية منذ بدايتها في العام 2011. مع رحلاتها المتكررة إلى سوريا قالت إنها عملت على تقارير ليس فقط من جبهات المعركة، ولكن أيضاً على قصص شخصية للمقاتلين المتمردين والمدنيين الذين يحاولون جاهدين البقاء على قيد الحياة.

والفيلم الوثائقي تم تصويره في محافظة إدلب والتي كانت ولا زالت ساحة قتال رئيسية بين النظام والمتمردين، وعلى الرغم من أن العديد من مدنها هي الآن في أيدي المتمردين، فإنها لا تزال في متناول مدفعية النظام وطائراته الحربية.

يروي الوثائقي قصة المتمردين السورية وراء خط الجبهة. لماذا يقاتلون، وما هو مصدر أسلحتهم وذخائرهم، وكيفية تفاعلهم مع بعضهم البعض. ويتكلم عن معركة جرت لدحر ما تبقى من القوات النظام في محافظة الأنبار الشاسعة بشمال إدلب. إن كتب للمتمردين النجاح، سيكونون قد أسسوا أول محافظة "محررة" في سوريا، وهي في الواقع "منطقة آمنة"، من دون مساعدة دولية مباشرة.

تلتقي رانيا وفريق العمل بعضاً من هؤلاء الرجال، بما في ذلك وحدة من كتائب الفاروق الشهيرة. يقضون بعض الوقت في قاعدتهم، يمشون بين أنقاض منازلهم، ويتحدثون عن أسرهم ومخاوفهم. يرافقونهم إلى خط المواجهة، ويعيشون معهم في الوقت الذي يستعدون لمعركة يأملون في أن تكون مثالاً للآخرين عندما ينوي الثوار نقل المعركة عميقاً إلى دمشق.

www.cbc.ca/doczone/episode/syria-behind-rebel-lines.html

الأمل في عيون السوريين

سوريا.. ما بعد سقوط النظام

■ ياسر مرزوق

عن الكبير زكريا تامر أنقل: لا تحظى الإبادة الحالية للسوريين إلا بالحكي من قبل المعارضة السورية ودول الوطن العربي والعالم.. حكي مستنكر.. حكي مندد.. حكي متعاطف.. حكي مهدد.. حكي يقطر دموعاً.. حكي يولول.. لا شيء غير الحكي بينما السوريون المطالبون بحريتهم يبادون إبادة منظمة وحشية تنتقل من انتصار إلى انتصار.

كان ملفنا اليوم بعنوان "كل الطرق تؤدي إلى روما" للإضاءة على مؤتمر أصدقاء الشعب السوري المنعقد في العاصمة الإيطالية، وبالحديث عن الأصدقاء عدت بالذاكرة لعام 1982 حين تعرضت بيروت لأعنف قصف بري وبحري وجوي قبل الاجتياح الإسرائيلي، يومها سُئل وليد جنبلاط عن موقف الأصدقاء فقال: "أسألو الأصدقاء، نحن ليس عندنا أصدقاء، عندنا أنفسنا وكفى"، ولا يختلف الحال في سوريا اليوم عما ذكره جنبلاط إذ يبدو أن ساكن البيت الأبيض اكتفى بجائزة نوبل للسلام ولم يعد مهتماً بإنجازه في أي رقعة من العالم، وساكن الكرملين يبحث عن استعادة مجدٍ ضائع وبين هذا وذاك تبدو ظاهرة أصدقاء سوريا كلامية بامتياز.

وبعيداً عن الحكي والأصدقاء آثرت أن يكون ملفنا عن سوريا ما بعد سقوط الأسد وليس ممن باب التفاؤل أو التمني إعتبار النظام ساقطاً، فهو ساقطٌ أو آيلٌ للسقوط حتى قبل اندلاع الثورة، فطبيعته تفقده القدرة على البقاء والاستمرار، وهذا ما كان يشي به انحصاره المتعاظم في دولة أمنية وانفراط العقد الاجتماعي تماماً بين المواطنين والدولة، فليست الوطنية الجامعة التي تغنى بها النظام سوى رابطة تربط العبيد بأسيادهم. إلا أن طبيعة النظام أيضاً تضع الثورة أمام جبال متراكمة من المشكلات، التي لم يحاول النظام وعلى مدى عقود أن يحل أياً منها حلاً جدياً، بل تركها تتعفن في الخفاء علها تحل ذاتياً.

النظام اليوم يعاند التاريخ، ولا يوجد من هو قادر على معاندة التاريخ، تستطيع أن تعارض من تشاء، ولكن عندما تواجه التاريخ لابد أن تتجاوب معه، وعندما يسألك التاريخ سؤالاً لا بد أن ترد على السؤال، والشعب السوري يواصل عبوره إلى العصر العالمي للشعوب الحية والحرة والقادرة على الإمساك بمصائرها، لا تتركه للقياصرة أو السلاطين أو الطغاة، وهو اليوم يستكمل مسيرته الطويلة نحو الحرية.

وعلى الرغم من أن الثورات والانتفاضات تضع الشعوب والجماعات أمام مسؤوليتها عن ذاتها وعن بلدانها، إلا أن الثورة قد تقف عاجزة عن إنتاج قيم تتجاوز إسقاط النظام بوصفه هدفاً تاماً مكتملاً بذاته، فالحالة الثورية لا تكفي بالضرورة وبمقتضى الأحوال لتحقيق الهدف، فهي تقف عند مشارف الهدف وإزاءه، ففي فرنسا مثلاً كان اقتحام سجن الباستيل عام 1789 أيقونة لطلب الحرية، هذا الحدث الذي دشن انطلاقة الثورة الفرنسية، لم يكن كافياً لبلوغ الديمقراطية المستقرة، فقد اضطررت فرنسا للمرور بدكتاتورية روبسبير وإرهابه ثم إمبراطورية نابليون وعودة الملكية ثم الجمهورية انتهاءً بحكومة فيشي، فالحرية الحق الطبيعي المشترك بين كل الكائنات، هي شرط لازم غير كافي لبناء الديمقراطية، وقد تتعارض الأخيرة مع الأولى فالديمقراطية قد تعمل على الحد من الحرية بأن تمأسسها وتقننها، فهي المعنية بالتوفيق بين الحريات كي لا تتحول استبداداً يمارسه البعض على الآخر.

كل الثورات تمر بثلاث مراحل والكلام هنا للكبير "محمد حسنين هيكل":

المرحلة الأولى: وهي ما يمكن تسميتها "حالة الثورة" ومعها فإن أي وطن يبدأ في معاناة القلق من أحواله وضعف الثقة في مستقبله، بمعنى إحساسه المتزايد مع كل يوم بأن أموره لم تعد تتفق مع آماله، وأن واقعه لم يعد متسقاً مع أمانيه، وأن التغيير أصبح مطلباً يزداد إلحاحه كل يوم، ثم إن الغضب يساوره والاستفزاز يستثيره، وأن مشاعره تتحول إلى شحنات مكبوتة تبحث عن منفذ، تكسر به قيدها وتحرر إرادتها.

المرحلة الثانية: "حدث الثورة" تلك اللحظة التي يقع فيها الانفجار، سواء بتخطيط دقيق ومحكم أو بمفاجأة على غير انتظار، فإذا القيود تتكسر، وإذا السلطة القائمة تعجز عن المواجهة بوسائلها التقليدية، ثم يبدأ نظامها بالتداعي وبعدها التساقط والوقوع.

المرحلة الثالثة: "فعل الثورة" المرحلة الأهم في عمر الثورات مرحلة "فعل الثورة" حين يتم انهيار القديم وقيام البديل، فيتقدم من يمثل الثورة ويتحمل مسؤولية هندسة رؤاه وتصوراته، ويضع الأسس ويقيم الأعمدة لبناء قوي يتحمل مطالبه، ويتسع لأشواقه.

وفي العادة وباستقراء التاريخ فإن الوصول من "حالة الثورة" إلى "حدث الثورة" يستغرق فترة طويلة، لكن الوصول من "حدث الثورة" إلى "فعل الثورة" لا يستحق أن يستغرق زمناً طويلاً.

وفي حديث للعلامة "هاني فحص" عن الربيع العربي مفاده: "فيما يخص الثورة المصرية والتونسية فإن الحق لم ينتصر بل سقط الباطل، والآن بدأ البناء" وما يصح في الثورتين المذكورتين لا يصح في الحال السورية، لأنه من غير المقبول وبعد عامين من المقتلة أن يترك السوريون في مرحلة حدث الثورة، وأن يبدأ فعل الثورة بعد السقوط الحتمي للنظام.

المعارضة المسلحة اليوم في كبرى الساحتين الأهم في العاصمة دمشق وعلى بعد ثلاثة كيلومترات من القصر الرئاسي، أما المعارضة السياسية فترتكب خطيئتها المعهودة بالتأخر دائماً عن ركب الشعب، هذه المعارضة التي أخذت قرابة العامين لتتوحد في تشكيل مؤتلف، ليس لها أن تقف اليوم دون تقديم برامج محددة لبناء سوريا المستقبل على الصعد كافة اقتصادياً واجتماعياً ودبلوماسياً وسياسياً، بعيداً عن الشعارات الفضفاضة، وهي أكثر ما يتقنه معارضو الفنادق، في ملفنا اليوم سنتعرض للتحديات التي تواجه السوريين بعد رحيل النظام على الصعيدين الاقتصادي والأمني على أن نستكمل التحديات في الملف المقبل.

في الاقتصاد:

شهدت سوريا في الثمانينيات تضاؤلا في الاستثمارات، وارتفاعًا في معدل النمو السكاني، وانخفاضًا في فرص العمل بسبب ضعف النمو الاقتصادي، مما جعل الدولة عاجزة عن توفير الخدمات لمواطنيها. وعلى الرغم من أن اكتشاف النفط الخام ولّد دخلاً جديدًا، فإن الحكومة لم تستثمر عائداته في إنعاش اقتصادها، بل قررت بدلا من ذلك جمع احتياطيات العملة الأجنبية، وفي التسعينيات وبعد حرب الخليج تحسن الوضع الاقتصادي نسبياً إلا أن هذا التحسن لم يصب كل شرائح المجتمع لغياب المؤسسات وخطط التنمية الشاملة.

وفي عهد الرئيس بشار الأسد، أطلق برنامجًا جديدًا للتحرير الاقتصادي، رافعًا العقبات التي تقيد التجارة، وفاتحًا النوافذ الاقتصادية أمام الاستثمارات الأجنبية. ولكن أهمل الأسد الزراعة وقطاعات التصنيع، مما اضطر المناطق الصناعية الكبرى للإغلاق بسبب التدفق المباغت للمنتجات الأجنبية، وبسبب هجرة مليون شخص من العاملين في القطاع الزراعي الهش إلى المدن.

أما بعد اندلاع الثورة وفي الوقت الذي استهدفت فيه العقوبات قطاع النفط على وجه الخصوص، توقف قطاع الصناعات التحويلية وقطاع السياحة عن العمل أيضًا، كما أن قطاع الزراعة

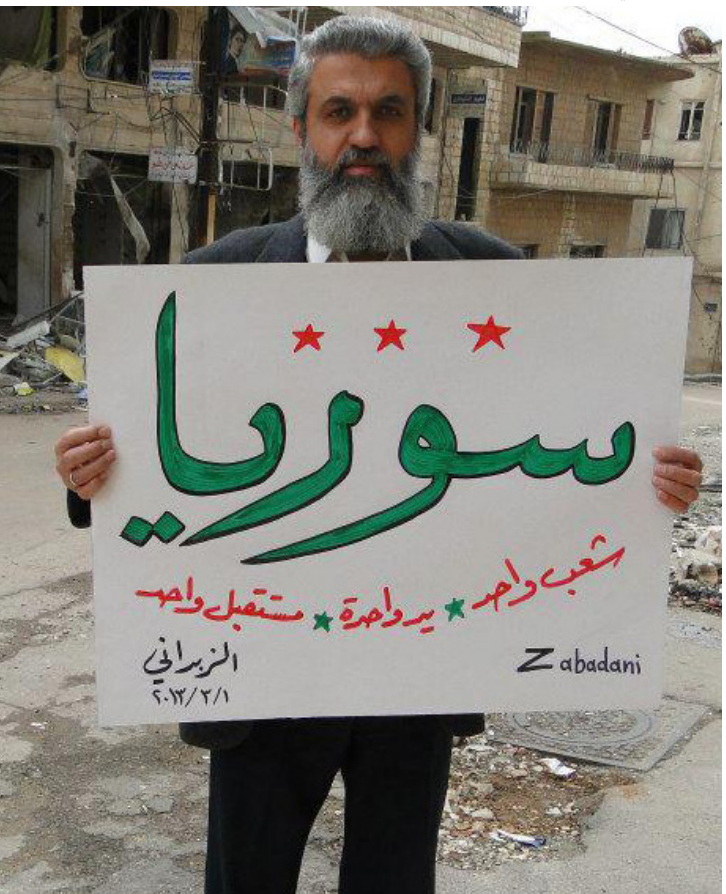

كان الأكثر تضرراً بسبب انعدام الأمن ونقص الوقود مما أفضى إلى نزوح العمال إلى المدن، إضافة إلى تجريف النقد الأجنبي الذي عانى منه المصرف المركزي، لتمويل معركة النظام

وأمام هذه الحالة تتجلى أهمية الشفافية، والتركيز على الاحتياجات المحلية للحيلولة دون إهدار موارد سوريا المحدودة على مشاريع غير ضرورية أو غير فعالة، فإعادة الإعمار في سوريا لابد وأن تبنى على أساس اقتصادي مدروس بعيداً عن مقامرةً الحريريّ، أو النهج الفاسد لإعادة إعمار العراق.

كما لابد من توجيه الدعم المالي إلى هيئة اقتصادية ذات مصداقية تتولى الإشراف على الأموال الموعودة لإعادة الإعمار ومتابعة الأموال السورية المنهوبة، ومعالجة الديون السورية خاصةً أن مجموعة العمل المنبثقة عن «أصدقاء الشعب السوري» المؤلفة من 56 دولة كانت قد أبدت استعدادها للعمل مع الحكومة السورية المقبلة "بعد سقوط نظام دمشق" لحل مشكلة الديون السورية في إطار نادي باريس للدول الدائنة.

الأولوية اليوم لخطة إنقاذ للاقتصاد والشعب السوري شعارها التنمية المتوازنة، ومحاربة الفساد بكل أشكاله.

في الأمن:

قد يكون السلاح المنتشر بين المدنيين هو التحدي الأمني الأكبر الذي تواجهه أي حكومة تأتي بعد ثورةٍ مسلحة، قال محمد شلبي الذي يشتهر بلقب "أبو سياف" أحد القادة المقاتلين في حلب، لوكالة رويترز للأنباء إن المقاتلين الإسلاميين في جماعات مثل جبهة النصرة التي أدرجتها الولايات المتحدة على قائمة المنظمات الإرهابية رفضوا عروضاً للانضمام إلى الجيش السوري الحر مقابل الحصول على المال والسلاح. وقال لرويترز إنه في حالة الإطاحة بالأسد فإن الجيش السوري الحر أو عناصر بداخله تعادي أفكار جبهة النصرة ستطلب من الجماعات الإسلامية على الفور إلقاء سلاحها، وقال: "راح يصير صدام وهنا الخسائر راح تكثر.. لا نستطيع أن نقول كيف حتى لا نستبق الأحداث".

ولجمع السلاح وحصره بيد الدولة أطرٌ قانونيةٌ معروفة، لكن التعقيد الأهم في الحال السورية هو الوجود الإيراني المتفاقم في الداخل، فقد أكد خامنئي لقادة النظام سابقاً أن "سوريا تشكل الخط الأمامي الاستراتيجي للنظام. لذلك ورغم صعوبات الموقف وتعقيدات الأوضاع علينا أن لا نيأس ويجب أن ندعم الأسد حتى آخر الأنفاس".

وقد نقلت صحيفة واشنطن بوست عن مسؤول عربي رفيع أن إستراتيجية إيران تقوم على مسارين: الأول دعم الأسد، والثاني تحضير مسرح إذا انهار النظام وتفسخت سوريا إلى جيوب عرقية وطائفية منفصلة.

وذكرت الصحيفة نقلا عن مسؤول رفيع بالإدارة الأميركية أن إيران تساند مليشيات قوامها 50 ألف مقاتل داخل سوريا حاليا. وقال المسؤول "إن هذه عملية كبيرة والنية المباشرة هي دعم النظام السوري إلا أن الأهم بالنسبة لإيران هو الحصول على قوة داخل سوريا تكون موضع ثقة ويمكن الاعتماد عليها فيما بعد".

كما ذكرت صحيفة "الاندبندنت" البريطانية الصادرة اليوم (أن عملية تقدم قوات المعارضة السورية تجاه العاصمة "دمشق" عززت التحركات داخل خطوط القتال الراكدة في الشهور الماضية وسط تقارير تفيد بأن إيران تشكل ميلشيات في الداخل استعدادا لسقوط نظام الرئيس السوري بشار الأسد).

وبالحديث عن إيران لابد من الحديث عن ربيبها الطائفي الأكثر رعونة "حزب اللّه" الذي بات يحتل قرى حدودية في الريف الحمصي، فقد قال الشيخ صبحي الطفيلي الأمين العام السابق لحزب اللّه، أن مَنْ يُقتل من حزب اللّه في سوريا ذاهب إلى جهنم ولا يعتبر شهيداً، مؤكداً أن الحزب يحارب في سوريا، ونفى "أن يكون الشيعة هناك بحاجة لمن يدافع عنهم"، وشدّد على أن "الشيعة في سوريا ليسوا بحاجة لمن يدافع عنهم ونحن مَنْ سبب لهم المشاكل، فالسيدة زينب ليست بحاجة لمن يحميها لأنها أيضاً محبوبة من الطائفة السّنية، لكن كل ما يحصل هناك هو الدفاع عن النظام وعن الإجرام وقتل شعبه وهو لم يقصف فلسطين يوماً".

وأكد الطفيلي أن "حزب اللّه يتحمل مسؤولية كل قتيل شيعي في سوريا"، محذراً من أن "المستفيد الأكبر من النزاع هناك هو العدو الإسرائيلي لأنه يريد هزيمة الفريقين". وسأل: "لماذا هذا الفعل المنكر بإرسال خيرة شبابنا في الحزب إلى سوريا ومقتلهم هناك عوض المقاومة ضد إسرائيل؟".

وقال: "سأقف مع المظلومين والأطفال السوريين في الوقت المناسب، وسأفعل ما في وسعي لمنع الفتنة السنية – الشيعية، ومن يقتل الأطفال ويروّع الأهالي ويدمر المنازل في سوريا وهو من حزب اللّه ذاهب إلى جهنم ولا يعتبر شهيداً".

أما عن إسرائيل فهي تنوي إقامة منطقة عازلة في الأراضي السورية لمنع الجماعات المتشددة من الاقتراب من الحدود إذا انهار نظام الرئيس بشار الأسد كما أفادت مصادر أمنية، وقد أوضحت مصادر عسكرية أن "القيادة العسكرية للشمال لديها خطة "اليوم التالي" التي تفترض أن الأسد لم يعد رئيساً لسورية وأن هناك خوفاً من رؤية عناصر إرهابية تسعى إلى الاقتراب من السياج".

وأضافت هذه المصادر "يريدون عندها إقامة نوع من المنطقة العازلة في الأراضي السورية وإخطار الكل بها، وذلك لمنع اقتراب إرهابيين من السياج من دون أن نتمكن من منعهم أو من رؤيتهم"، وأوضحت أنها ستكون "منطقة عازلة تابعة لسورية، لن نجتاح الأراضي السورية"، مشيرة إلى أن هذه الخطط لا تزال في المرحلة الأولية بدون أن توضح عمق هذه المنطقة العازلة.

إلا أن التخوف الأكبر هو أن تستغل إسرائيل حالة الضعف والإرتباك ما بعد رحيل الأسد لتقتطع جزءاً من الأراضي السورية بحجة المنطقة العازلة.

كما يبرز أمام الحكومة الجديدة تحدي السلاح الكيماوي وتأمينه، إذ قال رئيس لجنة الاستخبارات في مجلس النواب الأمريكي مايك روجرز لـ بي بي سي إنه "إذا لم يجر التوصل إلى خطة إقليمية للتعامل مع الأسلحة الكيميائية، فإنها قد تشكل خطرا يتهدد المنطقة بأسرها، فمن الممكن أن تنتشر داخل الأراضي اللبنانية، وقد تقع في أيدي جماعات تصنف على أنها منظمات إرهابية".

وقال روجرز: "أعتقد أن أمامنا الكثير لنقوم به حتى نتأكد من أن جامعة الدول العربية وتركيا وحلفاءنا من الأوروبيين يقفون معنا بخطة تسمح بالتأمين الفوري لأنظمة التسليح تلك".

وأضاف: "إذا لم يحدث ذلك، فإننا سنكون في مواجهة حدث من شأنه أن يتسبب في اضطراب كبير يحدث في المنطقة، وقد يتسبب في زعزعة استقرار الحكومات على مستوى الشرق الأوسط برمته".

كما قال الجنرال ريموند أديرنو رئيس أركان الجيش الأميركي في ندوة ألقاها في معهد بروكينز للدراسات بواشنطن إن الجيش الأميركي في حالة جهوزية كاملة للتدخّل في سوريا بعد أن تمّ تأمين أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها النظام.

لابد من الإشارة إلى أنه في حال فشل السوريون في تأمين منظومة السلاح الكيماوي فإن البديل المقبول هو قواتٌ أمميةٌ للمحافظة عليه وليس قوات أمريكية تنزل بإرادة منفردة على الأرض السورية دون أي غطاء شرعي أو قانوني.

في الختام نكرر سقوط النظام هو البداية، فبعد رحيله يبدأ البناء والعمل، أودعكم مع أبياتٍ لمحمود درويش ومن قصيدته "أيها المارون بين الكلمات العابرة":

أيها المارون بين الكلمات العابرة
منكم السيف - ومنا دمنا
منكم الفولاذ والنار - ومنا لحمنا
منكم دبابة أخرى - ومنا حجر
منكم قنبلة الغاز - ومنا المطر
وعلينا ما عليكم من سماء وهواء
فخذوا حصتكم من دمنا وانصرفوا
وادخلوا حفل عشاء راقص.. و انصرفوا
وعلينا، نحن، أن نحرس ورد الشهداء
و علينا، نحن، أن نحيا كما نحن نشاء
أيها المارون بين الكلمات العابرة
كالغبار المر مروا أينما شئتم ولكن
لا تمروا بيننا كالحشرات الطائرة
خلنا في أرضنا ما نعمل
و لنا قمح نربيه و نسقيه ندى أجسادنا
و لنا ما ليس يرضيكم هنا
حجر.. أو خجل

وماذا بعد؟

■ خالد كنفاني

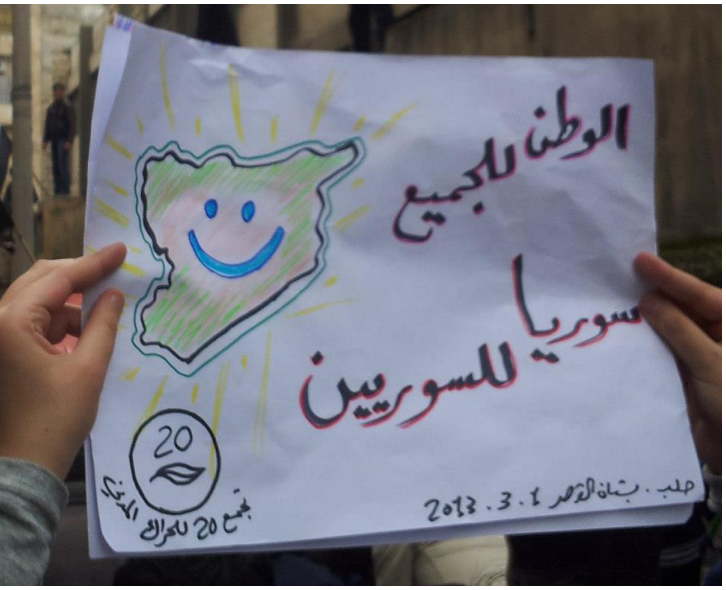

بدءاً من شجار كلامي بين شرطي مرور ومواطن في أحد أحياء دمشق ووصولاً إلى استخدام صواريخ سكود لقصف المدن السورية بواسطة "الجيش العربي السوري" العقائدي الذي تمتلئ الشاشات بتمجيده وتقديس بطولاته، يسأل السوريون: "وماذا بعد؟".

سيقاطع الائتلاف مؤتمر روما، سيشارك الائتلاف في مؤتمر روما، وبين المشاركة والمقاطعة يموت يومياً مئات السوريين ويفر الآلاف من بيوتهم وقراهم ومدنهم إلى المجهول حيث لا حياة ولا كرامة ولا مستقبل.

لم يعرف الائتلاف الوطني حتى اليوم أن قراراته ليس لها أي تأثير على السوريين، وما تجديد جوازات السفر إلا جزء من مناورة يعرف الجميع أنها بلا فائدة، فكيف يطلب الائتلاف من نظام "فاقد الشرعية" أن يقوم بتجديد جوازات السفر عبر سفاراته التي يطالب الائتلاف بالاستيلاء عليها وقد قام بذلك بالفعل في الدوحة. كما أن الجميع يعلم أن هذه الجوازات لم تعد مقبولة أساساً في كثير من بلاد الدنيا التي لا تريد أن ترى سورياً واحداً يطأ أراضيها. هذا التناقض الصارخ في المواقف يعكس حالة التخبط السياسي والفكري الرهيب الذي تعاني منه المعارضة السورية على اختلاف أطيافها ويعكس حالة النفاق العالمي تجاه السوريين وسوريا كوطن يفقد يومياً كل مقومات وجوده وكيانه الواحد باتجاه التشرذم والطائفية والتقسيم المحتوم.

يجتمع ممثلو أكثر من 100 دولة في العالم تدعي صداقة الشعب السوري لتنتهي الاجتماعات الفخمة ووجبات البيتزا الإيطالية والمكرونة "بضرورة زيادة الضغط على الأسد لوقف قصف المدن السورية"! وزادت الولايات المتحدة من جرعة النفاق بموافقتها على إرسال "أسلحة غير قاتلة" وسترات مضادة للرصاص إلى الجيش الحر، ونترك لفقهاء اللغة وعلمائها التفسير، فمصطلح "أسلحة غير قاتلة" لم نسمع به إلا في زمان الثورة السورية أما تزويد المقاتلين بسترات مقاومة للرصاص أمام نظام يستخدم صواريخ السكود فهو كمن يعطي نملة صغيرة مظلة شمسية لتحتمي بها من خطوات الفيل!

تم جمع أكثر من مليار وثلاثمائة مليون دولار أمريكي في جلسة "أنس" واحدة في مؤتمر "مانحي الشعب السوري"، لم يصل منها شيء حسب معلوماتنا حيث لم تقم بعض الدول بدفع الالتزامات التي تعهدت بها بالأساس. لا يريدون وصول الأسلحة والأموال "للمتطرفين" بينما تقوم واحدة من أكثر الدول تطرفاً في المنطقة وهي "مملكة الإنسانية" بالدعم الإعلامي والمادي والمعنوي والعسكري للجماعات المسلحة الأكثر تشدداً وللقنوات التلفزيونية "السلفية" العمياء والتي يتزعم منابرها شيخ جاهل لا هم له سوى إقحام لفظ الجلالة في علم الاستقلال، حتى وصل الأمر بالبعض بطلب عدم رفع العلم أساساً والاكتفاء بالراية السوداء التي "توحد الله."

وبينما يدخل حزب الله وإيران على خط دعم النظام تدخل السعودية وقطر وتركيا والقاعدة على خط دعم الكتائب المسلحة، ولكنه دعم أعمى وعشوائي في الحالة الأخيرة بدليل عدم توحد هذه الكتائب حتى على مستوى الأعمال القتالية، كما أن الجميع يريد نسبة النصر إلى نفسه ولوائه بينما يضيع الوطن في المجهول. لا تحمل أية كتيبة أو لواء في ثنايا اسمها أية إشارة إلى سوريا، الوطن الذي يدعي الجميع تحريره من نير الاستبداد. وبين المجالس المحلية في مناطق الأكراد وغيرها في مناطق حلب وريفها وحمص ودرعا وإدلب ينقسم الوطن شيئاً فشيئاً ويتولى إدارته مجموعات بشرية مختلفة ومتباعدة كثير منها لا يملك أية خلفيات فكرية أو ثقافية أو حتى إدارية للسير بالمناطق إلى الأمام. وبينما تخلى كل المعارضون عن مواقعهم الأمامية وارتضوا الظهور في الشاشات والفنادق والمنتجعات انحسر معهم كل الفكر الذي تشدقوا به في الماضي لصالح بعض الإبداعات الإدارية المحلية التي ابتكرها سكان المناطق المختلفة ليسيروا أمور حياتهم والتي بالكاد تكفيهم شر الفوضى والتخبط وأتاحت المجال أمام مئات الانتهازيين والوصوليين والمتسلقين الذين تدافعوا على اقتسام الغنائم وتدافعوا أمام الشاشات من جديد ليزيدوا هذه الثورة مأساة وهذا الشعب بؤساً وفاقة.

كم من المؤتمرات لا يزال أمامنا حتى ينجو هذا الشعب؟ جاب المعارضون معظم دول العالم لأجل "دعم الثورة السورية" بينما تعاني هذه الثورة المزيد والمزيد من السقطات والاستغلال والضياع، ذات الدول التي تدعي صداقة الشعب السوري ومعاداة النظام اليوم كانت فيما مضى صديقة للنظام ومعادية للشعب، ولكن ما يختلف اليوم هو التبادل في المسميات لا الأدوار، فالنظام يزداد شراسة والشعب يزداد ألماً، ولا ضوء في آخر النفق سوى ألسنة اللهب التي أحرقت الأخضر واليابس.

اعترض الائتلاف الوطني "بشدة" على المساعدة الهزيلة التي قدمتها الولايات المتحدة على يدي وزير خارجيتها "الحنون" جون كيري، وبينما كان الائتلاف يعلم مسبقاً أن مؤتمرات الأصدقاء لا علاقة لها بأجهزة الاستخبارات التي تعمل في الخفاء واتخذ موقفاً حازماً (لعله الأول منذ إنشائه) بمقاطعة مؤتمر أصدقاء سوريا وحتى مقاطعة زيارات واشنطن وموسكو، وكان لهذا الموقف صداه الحقيقي بين كثير من السوريين الذين رأوا أن بعض قادة المعارضة بدؤوا يتصرفون ببعض المسؤولية بعد أن ظهر كثير منهم بغاية السخف والسطحية وهم يتنقلون بين عواصم الدنيا وفنادقها حاملين صور أطفال سوريا ونسائها ليتسولوا على اسمهم ملايين الدولارات بينما لا يصل إلى السوريين سوى النزر اليسير. ولكن الائتلاف نفسه لم يخيب ظننا، فقد قرر بعد "التشاور" بين أركانه وأعضائه عدم تفويت فرصة السفر إلى إيطاليا (يبدو أن بعضهم لم يسبق له زيارة هذا البلد الجميل) وارتأوا أن المشاركة في هذا المؤتمر الفخم سيدعم الثورة السورية وأنهم عندما يخرجون منه حاملين سترات واقية للرصاص فإن الثورة ستنتصر في اليوم التالي وستدحر الاستبداد إلى الأبد. وهنا أثبت الائتلاف مرة أخرى أنه ليس على مستوى طموحات السوريين الذين وصل بعضهم إلى مراحل متقدمة من اليأس وصار جل أمله هدنة مؤقتة يسمع فيها غير أصوات القذائف والصواريخ في سماء مدينته أو قريته.

وتزداد أمور المعارضة طرافة مع نشر العشرات من الوسائل الإعلامية المعارضة خبراً منقولاً على لسان الدكتور فيصل الحمد عضو الأمانة العامة لمجلس الأمة الكويتي والذي يذكر فيه أن هناك سيناريو عربي غربي إسرائيلي لإجهاض الثورة السورية ووأدها في مهدها. ويؤكد هذا الدكتور أن هناك اجتماعات موسعة بين ضباط استخبارات عرب وغربيين مع قادة من الجيش الحر والكتائب المسلحة يهدف ظاهرها لدعم الثورة ولكنها في الواقع تهدف إلى ضرب الثوار ببعضهم البعض. عندما تحدثنا فيما مضى أن الأزمة في سوريا هي أزمة فكر وثقافة اعتبر البعض ذلك حطاً من قدر السوريين ومعاداة للثورة، ولكن مع تزايد هذه النوعية من الأخبار والمقالات كالمذكورة سابقاً نفهم كيف أن الجميع نظاماً ومعارضة يلعبون بنفس الخطة: نظرية مؤامرة وطعن أعمى في الخصم وصياح وشتائم. وقد أثبتت كافة السوريين الذين تمت استضافتهم في برامج حوارية (كبرنامج الاتجاه المعاكس مثلاً) كيف أنهم يفكرون جميعاً بنفس الطريقة السلطوية المتعالية ضيقة الأفق والسوقية في الطرح والسطحية في التفكير. إذا كان الائتلاف وغيره من هيئات المعارضة ومجالسها يروجون لمثل هذه الأقاويل ويؤمنون بها فلماذا لا يزالون يصرون على السفر إلى كل عاصمة في الدنيا لاهثين وراء مؤتمر صحفي أو مقابلة تلفزيونية أو نظرة حنان من أردوغان أو هولاند الذي استطاع وخلال أقل من شهرين من استلامه السلطة توجيه الجيش الفرنسي بكامل طاقته الهجومية للقضاء على الإرهابيين في مالي وسط تعتيم إعلامي شديد وسكوت سعودي مريب مع أن مالي بلد مسلم وكل أهله مسلمون ولكن يبدو أن بعد المكان لم يعد يسمح "لحماة السلفية في العالم" بسماع ما يحدث هناك.

مع كامل احترامنا للشيخ معاذ الخطيب فإننا نرى أنه لم يضف إلى هذه الثورة وقضيتها أي شيء بتوليه رئاسة الائتلاف الوطني الذي يضم بين ثناياه حيتان الإخوان وجهابذة المجلس الوطني ورموز المنشقين الفاسدين الذين ما شبعوا من أموال الناس طوال سنين خدمتهم للنظام ويتقدمون الصفوف من جديد ليواصلوا جمع ما يجمعونه ولكن على الضفة الأخرى هذه المرة. هذه البيئة القذرة ليست مكاناً لنظيف كالشيخ الخطيب الذي ستؤول به الأمور لأن يصبح شماعة أخطاء الثورة وأخطاء من يدعون قيادتها.

في سؤال السوريين "وماذا بعد" الكثير من الخوف والقلق من المستقبل الذي لا يزال يزداد ظلاماً بينما يتقاذف الكل هذه الكرة المسكينة المسماة الشعب السوري تارة باسم المساعدات وتارة باسم الأمن القومي وتارة باسم أصدقاء سوريا. وتبقى الحقيقة بين أيدي السوريين على الأرض، فهم من وهبوا الأرض دماءهم وهم من يستحقون ثمار ما سيكبر فيها من شجر.

آخر الكلام: يقول غسان كنفاني:

الثورة وحدها هي المؤهلة لاستقطاب الموت.. الثورة وحدها هي التي توجه الموت.. و تستخدمه لتشق سبلاً للحياة.

النظام السوري و(الممانِع المعاصر): لا افتضاح لمفتضَح!

■ صبحي حديدي

'الممانع المعاصر' هو، في تعريف مبسّط، ذاك الذي يساند النظام السوري لأنّ الأخير 'ممانع' بدوره، حتى إذا كان أودى بحياة أكثر من 70 ألف مواطن سوري، بين طفل وشيخ وامرأة ورجل؛ وحتى إذا استخدم كلّ صنوف أسلحة 'الجيش الممانع'، ليس ضدّ العدو الإسرائيلي، بل ضدّ الشعب السوري، وحده وحصرياً؛ وحتى إذا ألحق الخراب باقتصاد سورية وزراعتها وصناعتها وتجارتها، ودمّر معمار البلد، وبنيته التحتية، والكثير من معالمه التاريخية. ورغم كل ما تكشّف، ويتكشف، عن حقائق الموقف الأمريكي، الذي يسكت عن خيارات الأسد العنفية الوحشية، وينتهي عملياً إلى تشجيعه في المضيّ إلى خيارات أشدّ إيغالاً في العنف؛ فإنّ إيمان 'الممانع المعاصر' بأنّ ما يتعرّض له النظام السوري هو مؤامرة أمريكية ـ صهيونية ـ وهابية ـ قطرية.. راسخ لا يتزحزح!

ولأنه عربي غالباً، وأكثر حضوراً على الساحة من نظرائه السوريين أتباع النظام ومواليه، فإنّ هذا 'الممانع المعاصر' يساند أيضاً انخراط 'حزب الله' اللبناني في القتال مع النظام السوري؛ ليس 'دفاعاً عن المواطنين اللبنانيين داخل القرى الحدودية المحاذية'، وهو التعبير الملطف الذي ينوب عن المسمّى الفعلي: كوادر الحزب في هذه القرى، فحسب؛ بل في العمق السوري الذي يتجاوز مناطق القصير وتخوم حمص المحاذية لقرى طرطوس، ليبلغ ريف دمشق، وقلب العاصمة السورية ذاتها.

وإذْ يجد بعض الحرج في الموافقة على 'لمّ شمل ممانع' يمكن أن يضمّ نوري المالكي، صنيعة الاحتلال الأمريكي، والوجه الطائفي البغيض لولادات، ومآلات ذلك الاحتلال؛ فإنّ صاحبنا، 'الممانع المعاصر' نفسه، يلهج بالدعاء لما يُسمّى 'محور الممانعة' الممتد من طهران الوالي الفقيه، إلى بغداد النوري، ودمشق الأسد، وصولاً إلى ضاحية حسن نصر الله، ليس دون إلقاء التحية على أحمد جبريل!

ثمة، إلى هذا، تطورات دراماتيكة شهدتها مؤخراً هضبة الجولان السورية المحتلة، لا ينفع معها سكوت صاحبنا، إلا بمعنى تسليمه الصامت بأنّ 'الممانعة' يمكن أن تكتسب صفة الخيانة الوطنية، وتبقى مع ذلك ممانعة مقاومة مناهضة للإمبريالية والصهيونية والرجعية.. على سبيل المثال، يقول تطوّر أوّل إنّ الأسد سحب معظم وحدات الفرقة الخامسة المدرعة، وخاصة سرايا المدفعية الثقيلة، من مناطق انتشارها في الجولان، ليُعاد نشرها على خطوط المواجهة مع كتائب 'الجيش السوري الحرّ' في ريف دمشق، وفي حمص، وطرطوس. تطوّر آخر يقول إنّ سبعة جنود سوريين جُرحوا في الجولان، وانسحبت وحداتهم من أرض المعركة مع مقاتلي الجيش الحرّ، دون أن توفّر لهم الإسعاف الطبي، فتدخلت قوات الاحتلال الإسرائيلية ونقلتهم إلى مشفى في صفد.

صحيح أنّ مثل هذه التطورات فاضحة، وفاقعة، ويتوجب أن تفقأ الأعين قبل أن تلجم الألسنة؛ إلا أنّ لصاحبنا 'الممانع المعاصر' سوابق كثيرة في تمرير الفاقع والفاضح، هذا عدا عن التغنّي بكلّ ما هو غوغائي ديماغوجي، صدر ويصدر عن الأسد نفسه، رأس هذا النظام 'الممانع'، وعلى مراحل متتالية متعاقبة، لعلها بدأت منذ الأشهر الأولى لتوريثه، بعد وفاة أبيه، في حزيران (يونيو) سنة 2000. وهكذا، تعيدنا سابقة أولى إلى قمّة عمّان، ربيع 2001، ولم يكن آنذاك قد أكمل سنته الأولى في وراثة السلطة، حين استفاض الأسد في تقريع أخوته أصحاب السيادة والجلالة والسموّ، لأنهم يسيرون بالأمّة العربية من ضعف إلى ضعف. ولقد حثّهم، وكان أصغرهم سنّاً وأحدثهم عهداً بالحكم، على 'زيادة الإيجابيات على حساب السلبيات، وتعزيز نقاط القوّة مقابل تقليص نقاط الضعف التي ما تزال كثيرة، وعلى رأسها سوء التقدير وعدم قراءة الأحداث بشكلها الصحيح'.

ما الذي كان بديل الأسد؟ هذا الاقتراح، بالحرف: 'نحن ثلاثمائة مليون عربي، وعندما نتخذ القرار الجريء والواضح فالثلاثمائة مليون سيدعموننا مادياً ومعنوياً، وعدا ذلك لن يقف معنا لا عربي ولا غير عربي، وسننتقل من ضعف إلى ضعف. فإذاً يجب أن نكون واعين لعدم الوقوع في فخّ ربط مواقفنا وسياساتنا تجاه قضايانا بالأشخاص في إسرائيل، بل يجب ربط هذه المواقف والسياسات بالشارع الإسرائيلي الذي يظهر يوماً بعد يوم أنه ضدّ السلام. نربط هذه المواقف بالشارع الإسرائيلي وهذا يعني أن كلّ إسرائيلي مسؤول عن كلّ شبر من الأرض العربية. كلّ إسرائيلي مسؤول عن روح كل مواطن عربي أو عن روح كلّ مواطن عربي يمكن أن تزهق أو تزهق الآن. بالتالي فان الربط، ربط هذه المواقف بالأشخاص، هو ربط مؤقت، وهذا يعني أنه كلما أتى شخص نختلف على تقييمه وبالتالي علينا أن نلتقي أو نفترق حسب تبدل الحكومات والأشخاص، وهذا لا يجوز'.

لم يكن يجوز، بالفعل، مع فارق أنه كان ينطبق على القائل قبل السامعين، سيّما وأنّ أشهر معدودات كانت قد سبقت رهان النظام السوري على حكومة إيهود باراك، في البيت الأبيض كما في جنيف؛ قبل أن ينزل بالأخير عقاب الشارع الإسرائيلي، فيأتي بجنرال مجزرة صبرا وشاتيلا، بيروت 1982؛ على حساب جنرال مجزرة فردان، بيروت 1973. ولم تكن الملايين العربية الثلاثمئة، وهي الآن تقارب نصف المليار بحمد الله، تنتظر أمراً قدر انتظارها ذلك 'القرار الجريء' من نظام أحلّ السلام في بطاح الجولان المحتلّ وهضابه، حتى قبل، ودون، توقيع اتفاقية سلام نهائية!

بيد أنّ خطبة الأسد كانت أقرب إلى كلمة حقّ يُراد منها ذرّ الرماد في العيون، كما برهنت الأشهر القليلة الاحقة، حين ذهبت المفردات أدراج الرياح، أسرع ممّا انتظر أصحاب السيادة والجلالة والسموّ، الذين أنصتوا إلى الوريث الشابّ يتلو عليهم مزامير سمعوها من قبل، وملّوا من اختراع أمثالها أو اجترارها. لقد بدأ بمزيد من إضعاف الداخل السوري، أو ما تسمّيه عقيدة حزب البعث 'الجبهة الداخلية'، فبطش بـ'ربيع دمشق' وزجّ العشرات في المعتقلات، قبل إحالتهم إلى محاكم / مهازل قضائية؛ وأعاد طرائق القمع إلى أطوار بلغ بعضها في السوء درجات أشدّ ممّا كانت عليه أثناء حكم أبيه؛ وأطلق الذئاب الكاسرة، وليس القطط السمان وحدها، كي تعيث في البلد فساداً ونهباً. أمّا على صعيد 'الجبهة الخارجية'، إذا جاز الاشتقاق من المصطلح البغيض، فإنّ مسلسل المفاوضات السرّية والعلنية، المباشرة أو غير المباشرة أو عن طريق الوسطاء، كان أكثر وضوحاً من أن يحتجب أو يُحجب.

بعد ثماني سنوات، وفي قمّة الدوحة التي خُصّصت للعدوان الإسرائيلي على غزّة، ورغم عشرات 'الأقوال المأثورة' التي ابتدعها والده حافظ الأسد حول الصراع العربي ـ الإسرائيلي ومسائل الحرب والسلام، شاء الأسد الابن الذهاب إلى ميراث الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، واختار العبارة الأشهر والأكثر جرياً على الألسن: 'ما أخذ بالقوّة لا يُسترد بغير القوّة'! وقبل عبد الناصر، كان قد لجأ إلى الحديث النبوي ('المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف')، ثمّ إلى سفر 'الخروج' في العهد القديم ('العين بالعين والسنّ بالسنّ')، مشدّداً على أنّ البادىء أظلم.. فبأيّ قوّة، يسأل المرء أوّلاً، كان يمكن للنظام السوري أن يسترد الجولان المحتلّ، ويتخذ صفة 'المؤمن القوي'، ويقتلع من العدوّ سنّاً بعد عين؟

لم تكن القوّة العسكرية، بالتأكيد، إلا إذا كان الأسد يستغفل ملايين السوريين بادىء ذي بدء، ثمّ مئات ملايين العرب من المحيط إلى الخليج، وهذه تعرف البئر وغطاءه حول ما حل بالجيوش العربية عموماً، والجيش السوري خاصة، على أيدي أنظمة الاستبداد والوراثة والفساد.

وفي كلّ حال، لقد خضعت 'قوّة' النظام العسكرية إلى امتحانات عديدة بعدئذ: قصف القافلة العسكرية المتوجهة إلى ترسانة 'حزب الله' مؤخراً، وقبلها الإنزال الأمريكي داخل العمق السوري في منطقة البوكمال، وقصف موقع 'الكبر' العسكري، تحليق القاذفات الإسرائيلية فوق الاستراحة الرئاسية في اللاذقية، قصف معسكر 'عين الصاحب' غرب دمشق، لكي لا يعود المرء بالذاكرة أبعد..

أم كانت 'قوّة' سياسية، عمادها أوراق النظام 'الممانعة' تحديداً، خاصة العلاقة مع إيران و'حزب الله'، فضلاً عن الورقة الأهمّ المتمثلة في حرص إسرائيل، والولايات المتحدة أساساً، على عدم المساس بما كانوا يسمّونه 'الاستقرار المجتمعي' في سورية، تفادياً لفتح ساحة صراع جديدة؟ ثمّ أليست هذه الأوراق، جميعها، للنظام مرّة، مثلما هي عليه مرّة أخرى، طبقاً لما يستجدّ أو يتبدّل من موازين قوى ومعادلات جيو ـ سياسية؛ خاصة وأن السياسة في الشرق الأوسط، وفي إطارات إقليمية أوسع نطاقاً، لم تعد تقبل الكثير من الإصطفافات القصوى، البيضاء أو السوداء فقط؟

كذلك بدا ثابتاً، في المنطق الحسابي البسيط قبل ذاك السياسي الذرائعي، أنّ ما تجنيه إيران أو 'حزب الله' من مغانم تكتيكية أو ستراتيجية جرّاء هذه أو تلك من آثار الاحتقان أو المقاومة أو الوفاق في المنطقة، لن يصبّ إلا جزئياً في رصيد النظام السوري؛ أو، بالأحرى، لن تكون حصّة النظام منه إلا ثانوية، لاحقة وجانبية بالقياس إلى الحصص الأصلية التي تصنعها الأطراف بنفسها، لنفسها. وتلك حصة لا تقيم أود النظام إلا مؤقتاً، واقعة بواقعة، واصطفافاً باصطفاف، وما هو مطلوب لم يكن يقلّ البتة عن ضمان أمن النظام في المدى البعيد، وعلى نحو راسخ لا توفّره جهة إقليمية أفضل من إسرائيل، ولا قوّة كونية سوى الولايات المتحدة (ومن هنا إصرار الأسدَين، الأب والابن، على أن تكون أمريكا هي راعية المفاوضات السورية ـ الإسرائيلية).

ولا بدّ أنّ يكون المرء على درجة استثنائية في السذاجة لكي يصدّق أنّ الأسد، المؤمن بمبدأ 'ما أخذ بالقوّة لا يُسترد إلا بالقوّة' في قمّة الدوحة تلك؛ هو نفسه الأسد، الذي سوف يقول، بعد أيام قليلة فقط، إنه يبني مع الإسرائيليين 'عمارة سلام'. ففي مؤتمر صحفي مشترك مع الرئيس الكرواتي، قال الأسد بالحرف: 'من الطبيعي أن ننتقل، في مرحلة لاحقة، إلى المفاوضات المباشرة. فنحن ليس بوسعنا تحقيق السلام عبر المفاوضات غير المباشرة فقط.' وشبّه عملية السلام بمشروع إشادة مبنى، قائلاً إن إسرائيل وسورية 'تضعان الآن الأساس للسلام من خلال المحادثات غير المباشرة عبر الوسيط التركي'! أو هو الأسد نفسه، الذي يدكّ، اليوم، قرى وبلدات ومدن ومخابز ومساجد وكنائس السوريين؛ ويسحب جيشه الموالي من الجولان المحتل، تاركاً إسرائيل تعربد هناك، معربداً من جانبه في دمشق وحلب وحمص وحماة ودير الزور.

فإذا لم يكن المرء ساذجاً هكذا، فإنه أغلب الظن من فئة صاحبنا 'الممانع المعاصر': أصمّ وأبكم وأعمى، لا سبيل في ضميره لافتضاح المفتضَح!

القدس العربي 28 / 2 / 2013

حادثة مدرسة المدفعية بحلب 1979

■ بلال سلامة

في حوالي الساعة السادسة والنصف من مساء يوم السبت 16 حزيران 1979 غادر النقيب المناوب ابراهيم اليوسف (ضابط التوجيه المعنوي والسياسي بمدرسة المدفعية في منطقة الراموسة بحلب ورئيس الفرقة الحزبية في المدرسة) مدرسة المدفعية مستخدماً سيارة زيل عسكرية يقودها العريف عبد الراشد الحسين متوجهاً إلى مكان قريب من المدرسة، حيث كان ينتظره مجموعة من مقاتلي الطليعة المقاتلة كان أبرزهم حسني عابو قائد التنظيم العسكري في حلب وعدنان عقلة نائبه وزهير قلوطة ورامز عيسى وأيمن الخطيب، وأعطاهم ألبسة ورتب عسكرية وأدخلهم المدرسة ونشرهم حول مبنى الندوة (قاعة الطعام) وطلب منهم انتظار إشارته. بعد ذلك قام النقيب ابراهيم اليوسف بجمع كل الطلاب الضباط في الكلية بحجة الاجتماع إلى مدير الكلية وكان عددهم حوالي 300 طالب ضابط. في حوالي الساعة الثامنة إلا ثلث أعطى الضابط ابراهيم اليوسف لرفاقه بإطلاق النار ورمي القنابل على الطلاب، فاستشهد على الفور 32 طالب وجرح 54 منهم حسب الرواية الرسمية السورية. استهدفت المجزرة طلاب الضباط العلويين، لكن وزير الإعلام السوري أحمد اسكندر أحمد صرح بأن من بين الضحايا مسيحيين ومسلمين سنة.

اتهم وزير الداخلية السوري عدنان دباغ في بيان رسمي صدر بتاريخ 22 حزيران 1979 الإخوان المسلمين بالتورط في هذه المجزرة، حيث جاء في البيان: "وكانت آخر جريمة لهم تلك التي حدثت في مدرسة المدفعية في حلب. لقد تمكنوا من شراء عنصر من عناصر القوات المسلحة هو النقيب ابراهيم يوسف من مواليد تادف واستخدموا وجوده في المدرسة ونفوذه في يوم كان فيه هو الضابط المناوب في المدرسة. واستطاع مساء يوم السبت الواقع في السادس عشر من هذا الشهر أن يدخل إلى المدرسة عدداً من المجرمين من جماعة الإخوان المسلمين ويدعو الطلاب الضباط إلى اجتماع عاجل يعقد في الندوة وعندما هرعوا من مهاجعهم تنفيذاً لأمره وأصبحوا في قاعة الندوة الطلابية أمر أعوانه من المجرمين الذين أدخلهم من خارج المدرسة بفتح النار على الطلاب الشباب العزل في القاعة المغلقة وذلك بالرشاشات والقنابل اليدوية وسقط خلال دقائق معدودات اثنان وثلاثون شهيداً وأربعة وخمسون جريحاً".

نفى الإخوان المسلمون أي صلة لهم بهذه المجزرة في بيان وزعوه بتاريخ 24 حزيران 1979 تحت عنوان (بيان من الإخوان المسلمين للواقع والتاريخ حول حادثة مدرسة المدفعية بحلب) وأكدوا أن ابراهيم اليوسف والمجموعة التي قامت بهذه المجزرة معروفة للسلطة في سورية ولا صلة لها بالإخوان المسلمين. جاء في البيان: "إن الإخوان المسلمين فوجئوا كما فوجئ غيرهم بالحملة التي شنها عليهم عدنان دباغ وزير الداخلية السوري متهماً إياهم بالعمالة والخيانة وغير ذلك، ومحملاً إياهم مسؤولية أمور هو أكثر الناس دراية أنهم براء منها، لقد حملهم مسؤولية المذبحة التي حدثت في مدرسة المدفعية كما حملهم مسؤولية الاغتيالات التي جرت ولا زالت تجري في سوريا. ونحن نذكر وزير الداخلية السوري أنه بالأمس القريب كان يتهم العراق بهذه الاغتيالات، فلماذا تغيرت النغمة اليوم؟

إن النقيب ابراهيم اليوسف الذي نفذ حادثة مدرسة المدفعية معروف أنه عضو عامل في حزب البعث السوري، وليس له أي صلة بالإخوان المسلمين، فلماذا ينسب عمله إلى الإخوان المسلمين؟ ثم إن السلطة تعرف أن هناك أوراقاً خلفها أصحاب الحادثة تبين هويتهم وأن لا صلة لهم بالإخوان المسلمين.

إن الإخوان المسلمين يتحدون أن تثبت أي جهة في العالم عن طريق تحقيق نزيه أن تكون قيادتهم أو عناصرهم قد سارت في طريق العنف، علماً بأن الحكم السوري قد أوجد له كثيراً من الخصوم الذين يؤمنون باستخدام العنف".

وقد نفى حسني عابو (مسؤول الطليعة المقاتلة الذي اعتقل بعيد المجزرة وأعدم في السجن) عام 1980 قبل إعدامه في لقاء أجراه معه التلفزيون العربي السوري في السجن عام 1980، أن يكون قد وافق على هذه العملية. كما يذكر أن عبد الستار الزعيم الذي قتلته السلطة عام 1979 قد تحفظ على فكرتها، وهو الذي آلت إليه قيادة الطليعة بعد مروان حديد الذي قتل في السجن عام 1975. بينما أصر عدنان عقلة عليها، وقام بالتخطيط لها ونفذها بالتعاون مع النقيب ابراهيم اليوسف.

أما عن رد السلطة السورية على هذه العملية فكان أن زادت الاعتقالات التي بدأتها من قبل لاستئصال الإخوان المسلمين، حتى بلغ عدد المعتقلين حوالي 6000 معتقلاً، كما سارعت محكمة أمن الدولة العليا إلى إصدار حكم على 15 شخصاً اعتقل بعضهم عام 1977 ولا علاقة لهم بكل ما حصل، وأعدموا في 27 حزيران 1979. وبذلك صدق قول الإخوان في بيانهم السابق أن السلطة ستستغل هذه المجزرة لتتخلص من بعض الإخوان المعتقلين الذين ليست لهم أية علاقة بحادثة مدرسة المدفعية "إن هناك كثيرين من قادة الإخوان المسلمين وأفرادهم معتقلون منذ أشهر وبعضهم منذ سنين، فهل ما أعلن بالأمس كان مؤامرة لإدانة هؤلاء بشيء لم يفعلوه؟".

اعتبرت السلطة السورية هذه المجزرة مدعومة من نظام الرئيس المصري أنور السادات والمعارضة الخارجية لسورية بسبب رفض النظام السوري التوقيع على اتفاقية سلام مع الكيان الصهيوني على غرار ما فعل السادات. وفي ذلك جاء في بيان وزير الداخلية السوري الآنف الذكر ما يلي: "قد تحرك هؤلاء بعد اتفاقية سيناء مباشرة وتصاعدت أعمالهم الإجرامية بعد زيارة السادات للقدس ثم بعد توقيع اتفاقيات الذل والعار مع العدو الصهيوني. وبدؤوا بمسلسل الاغتيالات في بعض المدن السورية وفي حلب وفي حماة وفي دمشق. وكان من ضحاياهم أبرياء يعملون في شتى الأعمال الوظيفية وفي مؤسسات الدولة المختلفة". فرد عليهن الإخوان: "إن الإخوان المسلمين، وهم أكثر الناس إدراكاً للوضع الدقيق الذي تمر به بلادهم في هذه المرحلة، يحبون أن يضعوا النقاط على الحروف في الأمور التالية: إن نغمة عمالة الإخوان المسلمين لشرق أو لغرب نغمة أصبحت معروفة ممجوجة، وأن ما لاقوه من عنت وأذى من عملاء الشرق والغرب إنما كان من أجل مطالبتهم بتحكيم كتاب الله في واقع الحياة. ومن العجيب أن يتهم الإخوان بالعمالة لإسرائيل في الوقت الذي يعلم الجميع قتالهم على أرض فلسطين بينما يتحمل غيرهم عار الهزائم المتلاحقة. أما أن الإخوان يعملون لصالح أصحاب اتفاقيتي كامب ديفيد فهذا يدحضه أنهم هم الجهة الوحيدة التي ترفض بصدق وإصرار أن يكون لليهود دولة ولو على شبر واحد من فلسطين. ومن الغني عن القول أن الإخوان المسلمين كانوا قد أدانوا بشدة ما أقدم عليه الرئيس المصري أنور السادات في تعاملاته مع الكيان الصهيوني".

ومن الجدير بالذكر أن عناصر المخابرات والشرطة العسكرية وجدوا عبارة كانت مكتوبة على سبورة الندوة كانت تقول: (الإخوان المسلمون - الطليعة المقاتلة) باعتبارها الجهة التي نفذت العملية كما تركت الطليعة خلفها أوراقاً تؤكد مسؤوليتها عن مجزرة مدرسة المدفعية ودوافعها لارتكاب مثل هذه المجزرة، وكانت هذه المرة الأولى التي تعلن فيها الطليعة المقاتلة عن نفسها. كما كتب عدنان عقلة في رسالة مطولة بعد عام من المجزرة في 11 حزيران 1980 مسؤولية الطليعة عن كل الأعمال العسكرية بما فيها مدرسة المدفعية بقوله: (الطليعة المقاتلة لها قيادتها المستقلة منذ نشأتها عام 1395 هـ الموافق عام 1975 م. الطليعة المقاتلة وحدها فقط المسؤولة عن قرار المواجهة التاريخي مع الجاهلية).

جاء في كتاب الإخوان (المشروع السياسي لسورية المستقبل) رؤية جماعة الإخوان المسلمين في سورية صفحة 39 - 40 تاريخ الإصدار 2005: ".. كل ذلك دفع ثلة من الشباب محدودة العدد، لا صلة لها بجماعتنا، أعلنوا عن أنفسهم باسم (الطليعة المقاتلة) إلى الانخراط في عمليات عنف ضد رموز النظام، وقد قوبلت تلك الأعمال بترحيب شعبي بعيد المدى نظراً لحالة الاحتقان السياسي والفكري الذي كان يعيشه المجتمع السوري وتوجت تلك المجموعات عملياتها بالمجزرة التي استهدفت طلاباً في مدرسة المدفعية بحلب في حزيران 1979. ومع أن جماعتنا بادرت إلى استنكار هذه العملية، ونفت في بيان رسمي أي صلة بمنفذيها، إلا أن النظام أصر على تحميلنا المسؤولية عنها وعن أعمال العنف التي سبقتها، وتوعد من خلال بيان وزير الداخلية بملاحقة أبناء الجماعة في الداخل والخارج ومنذ ذلك الحين استخدمت الحكومة سياسة الأرض المحروقة ضد الجماعة وأنصارها".

في تشرين الثاني 1979 ألقى الأمن العسكري القبض على حسني عابو وأعدمته. وفي الثالث من حزيران 1980 حاصرت القوى الأمنية النقيب ابراهيم اليوسف في حلب وقتلته بعد اشتباك شديد، وقيل أن جثته نقلت إلى مدرسة المدفعية ومررت أمام صفوف الطلاب الضباط الذين حاولوا تقطيع الجثة. في العام 1982 ألقت قوات الأمن القبض على عدنان عقلة وأحيل إلى محكمة أمن الدولة العليا (فصل من جماعة الإخوان المسلمين عام 1974 أو عام 1977 بسبب آرائه في المواجهة المسلحة مع السلطة في سورية).

مروان حيدر

عدنان عقلة

القانون رقم 35 لتحديد الموازنة العامة لعام 2013

■ ياسر مرزوق

أصدر رئيس الجمهورية القانون رقم 35 القاضي بتحديد الموازنة العامة للدولة للسنة المالية 2013 بمبلغ إجمالي قدره ألف وثلاثمئة وثلاثة وثمانون مليار ليرة سورية. على الأقسام والفروع والأبواب وفق ما هو وارد في جدول بيان النفقات المرافق لهذا القانون.

وقدرت إيرادات الموازنة العامة للدولة للسنة المالية 2013 بمبلغ إجمالي قدره 1383 مليار ليرة سورية فقط / ألف وثلاثمئة وثلاثة وثمانون / مليار ليرة سورية لا غير وفق جدول الإيرادات المرافق لهذا القانون.

كما نص القانون على صرف الاعتمادات المرصدة لمساهمة الدولة في تثبيت الأسعار "الدعم الاجتماعي" المخصصة..

أ - لصندوق دعم الإنتاج الزراعي بقرار من وزير المالية وبموجب أوامر تصفية وصرف تصدر عن وزير الزراعة والإصلاح الزراعي.

ب - للصندوق الوطني للمعونة الاجتماعية بقرار من وزير المالية وبموجب أوامر تصفية وصرف تصدر عن وزير الشؤون الاجتماعية والعمل.

ج - للمؤسسة العامة لحلج وتسويق الأقطان بقرار من وزير المالية وبموجب أوامر تصفية وصرف توقع من قبله.

د - لدعم المشتقات النفطية والطاقة الكهربائية بقرار من وزير المالية وبموجب أوامر تصفية وصرف توقع من قبله بشكل قيدي دون أن يترتب على ذلك أي تأدية نقدية بناء على محاضر معتمدة أصولا من وزير المالية /وزير النفط والثروة المعدنية / وزير الكهرباء.

هـ - لدعم المواد التموينية / سكر / رز / دقيق / بقرار من وزير المالية وبموجب أوامر تصفية وصرف توقع من قبله.

واستثناء من القوانين والأنظمة النافذة للجهات العامة ذات الطابع الإداري التي تعتبر وحدات حسابية مستقلة وترتبط بالموازنة العامة للدولة وفق مبدأ الصوافي /اعانات/ تم إظهار موازنات هذه الوحدات في الموازنة العامة للدولة بكامل نفقاتها وإيراداتها على أن تبقى طرق تحصيل إيراداتها وفقا لما ورد في صكوك إحداثها. كما يصدر وزير المالية بعد صدور هذا القانون قرارات يحدد فيها مبالغ الإعانات المخصصة لهذه الجهات /الفرق بين إيراداتها ونفقاتها/ويتم صرفها بموجب أوامر تصفية وصرف ربعية توقع من قبله.

وتعتبر نفقات البريد والبرق والهاتف واستهلاك القدرة الكهربائية والمياه من النفقات الإلزامية ولا يجوز النقل منها وتصرف خلال مدة لا تتجاوز خمسة أيام من تاريخ تقديم مستندات الصرف العائدة لها.

كما تسدد السلف الممنوحة من أموال الخزينة الجاهزة خلال عام 2012 وما قبل للجهات العامة ذات الطابع الإداري استنادا إلى نصوص قانونية نافذة بموجب أوامر تصفية وصرف محسوبة على وفور أقسام وفروع الموازنة العامة لعام 2013 بعد موافقة وزير المالية.

تحتفظ الجهات العامة ذات الطابع الاقتصادي والإنشائي بفائض السيولة المقدر لاستخدامه في تمويل مشاريع الاستبدال والتجديد وجزء من مشاريعها الاستثمارية وذلك في ضوء الاعتمادات المرصدة في الموازنة العامة للدولة. ويقوم صندوق الدين العام بمنح الجهات العامة ذات الطابع الاقتصادي قروضا لتمويل مشاريعها الاستثمارية المرصدة اعتماداتها في الباب الثالث من الموازنة العامة للدولة وفق إمكانياته المالية، وعليها وضع خطة زمنية موزعة على أشهر السنة وإرسالها إلى صندوق الدين العام خلال شهر من تاريخ صدور هذا القانون يحدد فيها بصورة خاصة تقديرات الإنفاق الاستثماري وفق النموذج المعتمد من قبل وزارة المالية.

وتصرف بناء على موافقة رئيس مجلس الوزراء بقرارات تصدر عن وزير التعليم العالي مكافآت تشجيعية بحدود مبلغ لا يتجاوز خمسمئة ألف ليرة سورية من اعتمادات البند 18 المكافآت المرصدة في موازنة وزارة التعليم العالي لعام 2013 لأعضاء الهيئات التعليمية بمن في ذلك المتفرغون منهم والعاملون في الجامعات والمعاهد وطلاب الدراسات العليا وغيرهم من الذين يقومون بالعمل لإنجاز قبول الطلاب المستجدين في الجامعات والمعاهد وتسجيلهم بواسطة الحاسب الالكتروني للعام الدراسي 2012 - 2013 وتستثنى المبالغ المصروفة بموجب أحكام هذه المادة من الحدود القصوى للتعويضات والمكافآت المنصوص عليها في القوانين والأنظمة النافذة.

كما تصرف اعتمادات مخصصة للإعمار واعادة التأهيل/بقرار من وزير المالية بناء على اقتراح اللجنة المشكلة بقرار رئيس مجلس الوزراء رقم /13387/ م. وتاريخ /2012/9/23/ وبموجب أوامر تصفية وصرف صادرة عن وزير المالية وتحول لحساب اللجنة ويكون رئيس اللجنة المذكورة عاقدا للنفقة وأمرا للتصفية والصرف.

يسمح لصندوق الدين العام بمنح المؤسسة العامة للإسكان قرضا بدون فائدة بمعدل لا يتجاوز 30 بالمئة من التكلفة السنوية المعتمدة لمشروع تنفيذ وحدات سكنية صغيرة /السكن الشبابي/.

يسمح لصندوق الدين العام بمنح المؤسسة العامة للمواصلات الطرقية قروضا خلال عام 2013 بدون فائدة لتمويل مشاريعها الاستثمارية المخصصة بالموازنة العامة للدولة وتعتبر تمويلا نهائيا.

ويؤجل سداد إسناد الخزينة الموضوعة في التغطية النقدية لقاء العجوز التراكمية الناشئة عن تثبيت الأسعار وفوائدها والعجوز التراكمية السابقة للموازنة العامة للدولة وفوائدها المستحقة وغير المسددة لغاية عام 2013 وتقسط على عشرة أقساط سنوية متساوية يبدأ تسديد القسط الأول منها في 1 - 10 - 2028.

واستثناء من أحكام المرسوم التشريعي رقم 60 لعام 2007.. يقوم مصرف سورية المركزي بمنح وزارة المالية " صندوق الدين العام " قروضاً وسلفاً لتسديد العجز التمويني وعجز الموازنة العامة للدولة لعام 2013.

وأعلن الدكتور محمد الجليلاتي وزير المالية أن الوزارة قامت بإصدار التعليمات التنفيذية اللازمة لتطبيق الموازنة العامة للدولة لعام 2013 اعتبارا من 1 - 1 - 2013 وقرارات توزيع اعتماداتها.

وبين الجليلاتي في تصريح لوكالة سانا أن وزارة المالية ستعمل خلال عام 2013 على تشديد الرقابة في تنفيذ الموازنة العامة للدولة بالتنسيق مع الجهات الرقابية المختصة وضبط الأنفاق وترشيده ولاسيما النفقات الإدارية التي بنيت على أساس الاعتمادات المعدلة بعد تخفيضها خلال العام الحالي. وأوضح الوزير أن المبلغ الإجمالي للموازنة البالغ 1383 مليار ليرة يتوزع إلى اعتمادات جارية بمبلغ 1108 مليارات ليرة منها 512 مليارا لقاء الدعم الاجتماعي، واعتمادات استثمارية بمبلغ 275 مليار ليرة.

وتتضمن موازنة 2013 زيادة قدرها 450ر56 مليار ليرة وبنسبة 25ر4 بالمئة عن موازنة عام 2012 التي بلغت 550ر1326 مليار ليرة حيث أشار الوزير الجليلاتي في هذا السياق إلى انه تم تطوير تبويب الموازنة العامة للدولة من خلال إعادة النظر في أسلوب عرض الإيرادات والنفقات وفق معايير الشفافية والإفصاح وتطبيق المبادئ الحديثة في إعدادها وإظهار الوحدات الإدارية المستقلة موزعة على أبواب وبنود وفقرات الموازنة بكامل نفقاتها وإيراداتها عملا بمبدأ شمول الموازنة.

رسالة إلى مخيّم اليرموك

■ إياد عاطف حياتله

أنا الرجل الطويل العريض، الذي غادرت المخيّم في متّسع من الوقت ذات نهار خريفي، وحزَمتُ حقائبي على تَفاصيله التي لا تموت وأغلقتُ قلبي بسبعة أقفال دونها، أنا الذي مارستُ رفاهيةً توديع كلّ زاويةٍ به بساديّة القتلى، من أثاثِ بيتي إلى صور الراحلين المطبوعة على الجدران، إلى حكايا الغرف الحيّةِ أبداً فالباب فالعتبة، وتأمّلتُ حاراته وشوارعه وشغبَ بنات وأولاد المدارس ووجوه ختايرته وحجّاته البلسميّة ونعوات الراحلين على جدران بيوته المتّكئة على بعضها طويلاً قبيل السفر، أنا الذي أشبعتُ رئتاي من عبق المخيّم عندما تنفّستُ عميقاً روائح أيّامي السالفة بين صباياه وشبابه وتعليلاتِ أعراسه وحبستها في زنزانة صدري المنفردة.. وتَركتهُ لقدرهِ وهَربت

أنا الرجل الطويل العريض.. لا أملكُ ما أقوله للذين غادروه على عجل نجاةً بأرواحهم من رصاصة قنّاصٍ أو قذيفة دبّابةٍ عشوائيّة موجّهةٍ بدقةٍ لا تخطئ الهدف.. أنا الرجل الطويل العريض.. ولو استجمعتُ كلّ شجاعة محاربي الأساطير القدماء، سأظلّ أصغرَ من أن أنظر في عيون أصغر طفلةٍ خبّأت سلامتها في حقيبتها المدرسيّة وحمَلت أحلام أمسها ونفذت بما تبقّى من جلدها.. وأقلّ من أن أتساءل أمام خوفها معاتبا: لماذا؟

أنا الرجل الطويل العريض، الذي اجتررتُ الندم طويلاً في منفاي الإختياري البارد، والذي كنتُ قد أقسمتُ ألاّ أنظر ورائي وألاّ أعود، وقبل انتهاء ليلتي الأولى كتبت دموعي قصائد الشوق لأمّي ورائحة أنفاسها الصباحيّة، وغنّى لساني الذي علّمته قسوة المخيّم سليط الكلام مواويل الحنين لبساطة ناسه وطيبةِ أياديهم الخشنة، أنا الذي يذبحني الوجد للرجوع ولو لساعةٍ لا تتكرّر أقفُ بها على قدم واحدةٍ راكيا قدمي الأخرى وظهري إلى حائطٍ متهالكٍ يسند أيّامي الأخيرة هناك، أنا الذي خاصمتُ الحلم مراراً في المخيّم، وآدمنتُ الحلم به كثيراً في الغربة وبالصلاة في جوامعه التي لم تركع للقصف وتمنيّتُ الموت في زواريبه الضيّقة والنوم طويلاً على سرير ترابيّ نصف مفرد في مقبرته القديمة

أنا الرجل الطويل العريض.. ليس لديّ ما أنصح به القابضين على جمرات أرواحهم ثباتاً في وجه الحصار والموت البطيْ السريع هناك.. أنا الرجل الطويل العريض.. أعرف تماماً قدري، فلو وقفتُ على رؤوس أصابعي وتطاولت، سأظلّ عاجزاً عن الوصول إلى أقدام أصغر ولدٍ اختار الصمود في أتعَس حارةٍ في المخيّم.. ومهما نفختُ صدري الخاوي، سأظلّ أوضعَ من أن أرسم على شفتيّ ابتسامةً بلاستيكيّةً مواربةً وأقول له: أحسنتْ

أنا الرجل الطويل العريض، نديمُ الأراكيل والأغنيات والسّهر، خليل بيوت القصيد وشياطين الشعر، صديق الكآبةِ والمرض، أنا الحاقدُ أبداً على كلّ شيء، الفرحُ دوماً بأيّ شيء، الغاضبُ منذ الولادةِ بسببٍ ومن دون سبب، أنا القاسي الملامح قصداً وعن غير قصد، والذي يحمرُّ وجهي حياءً وأرتبك إذا ما صافحتني فتاة على حافة الأربعين، أنا المتجهّمُ القسمات كبدويٍّ فقدَ جَمَله الوحيد في صحراءٍ لا حدود لها، أنا الذي لا أضحك أحياناً كثيرةً للرغيف الساخن، والذي يَبشُّ فؤادي ويطيرُ فرحاً أحايينا أكثر للرغيف الجافر، أنا سيّد الحزن وطفلُ البراءةِ والنكات البذيئة، حامل همّ السنوات الخوالي والمقبلات، الذي لم أعرف مرّة ما الذي أنتظره بالضبط، والذي أعرفُ تماماً ما الذي ينتظرني بالضبط

أنا الرجل الطويل العريض.. مغرمُ الجنازات والتعازي، صديقُ المقابر في بلاد الموت وغربة الأموات، أسافر معَ كلّ صلاة جنازةٍ في مسجد مدينة الصقيع إلى مقابر المخيّم الأربعة، أمسحُ على قبور أبي وأخي وأحبّائي براحة يديَ المرتجفة، وأنظر بحسرةٍ إلى مدافن الشهداء، وأصمت.. أنا الرجل الطويل العريض.. الذي لا يفارقُ الدعاء قلبي، أعرف أنّي أقل من أن أقرأ الفاتحة على أرواح من قضوا لأجلي.. أنا الرجل الطويل العريض.. تأخذني الغربة على حينٍ وجعٍ فأكبُر في كل لحظةٍ سنة.. ولكنّني أظلّ أصغرَ من أن أترحّم على شهيد.

أطفال درعا الأبطال خطوها على حيطان مدارسهم والشعب قالها:

ارحـــل

■ زليخة سالم

هرمنا بانتظار هذه اللحظة التاريخية.. كلمات قالها المواطن التونسي (أحمد الحفناوي) لتصل إلى روح وقلوب وعقول ملايين العرب والسوريين الذين يسكنهم قهر دفين تراكم عبر سنوات ليتفجر مع نزيف أول قطرة دماء روت تراب مدينة درعا الأبية.

أطفال درعا الأبطال شرارة الثورة الذين سطروا في مثل هذه الأيام قبل سنتين عبارات أسقطت الأقنعة عن نظام مستبد دموي قاتل.. اقتلع أظافر الأطفال ومارس على أجسادهم كل أنواع التعذيب من حرق وتهشيم لأنه رأى فيهم الخروج عن الطاعة في عبارات أستلهمها الأطفال من شعارات الثورات التي هزت كيانات الاستبداد من تونس إلى مصر وليبيا واليمن.

أطفال خطوا بأناملهم الصغيرة عبارات زلزلت كيان النظام الدكتاتوري الشمولي الذي كان على يقين من أن أحداً لن يرفع رأسه في مزرعته التي دجّن أهلها على التصفيق والتهليل والسجود للقائد المقاوم والممانع فأراد أن يقمع هذه الظاهرة المباغتة بالقتل والتعذيب لردع الآخرين

اخترقوا الأطفال الممنوعات والمحظورات التي كبلت السوريين أكثر من نصف قرن وتجاوزوا جيلاً كاملاً عاش قحطاً وجفافاً سياسياً ظهرت نتائجه جلية في مواقف المعارضة المتخبطة والمشتتة والمتناكفة رغم إجماعها على هدف واحد وهو إسقاط النظام وفي الأمراض الاجتماعية التي أصابت نفوس السوريين جراء القهر والذل والإقصاء والتهميش.

تظاهر الأهالي سلمياً احتجاجاً على اعتقال أبنائهم فقوبلوا بالرصاص الحي.. نزفت درعا ونزف السوريون من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب لتكون بداية النهاية لحكم الطاغية.

ارحل.. صرخة عانقت عنان السماء.. أطلقها شباب درعا من قلب مجروح نازف ثار على الظلم والاستبداد والقتل وتدحرجت ككرة الثلج من منطقة إلى منطقة حتى عمت أنحاء سوريتنا وأسقطت القناع عن نظام المقاومة والممانعة الذي رد على شعبه المطالب بالحرية والعدالة بالقتل في الوقت الذي ينتظر فيه السوريين منذ سنوات الرد على انتهاكات العدو الإسرائيلي المتكررة للأجواء السورية وصولا إلى القصر الجمهوري وضربه لمواقع داخل الأراضي السورية.

مئات وآلاف الأسباب وراء مطالب الشعب السوري بكل مكوناته برحيلك.. لأنك قتلت واعتقلت أطفالنا ونسائنا وشبابنا وشيوخنا لأنك لم ترحم صغيراً أو كبيراً. لأنك استخدمت كل أنواع الأسلحة الفتاكة ضد شعبك. لأنك سرقت ودمرت البلد لأنك أفلتت عصابتك وعائلتك لتأكل الأخضر واليابس.. وتعيد البلد إلى العصور الحجرية.

سورية الخير والعطاء المليئة بالموارد.. أم اليتيم وحاضنة الأشقاء والجيران.. سورية التاريخ والحضارة احتلت في عهدك وعهد أبيك من قبلك المراتب العليا في الفساد والفقر والبطالة والتعذيب وانتهاك حقوق الإنسان ضمن المؤشرات العالمية.

ارحل:لأنك هجرت الملايين من أهلنا وشردتهم في أصقاع الدنيا.. لأنك حولت سوريتنا إلى مزرعة وشعبها العريق إلى عبيد في وطنهم، هجرت أبنائنا وعلمائنا ومثقفينا وكفاءاتنا وكوادرنا.. لأنك قحلت التربية والتعليم وزورت التاريخ واستبدلت عمالقتنا بأقزامك وصبيانك المدللين ليعيثوا في الأرض فسادا ونهبا

، لأنك زرعت الفتنة بين أبناء الشعب الواحد وحاولت أنت وأذنابك تحويل الثورة إلى حرب طائفية.. إلا أن وعي الشعب السوري العظيم حال دون تحقيق غاياتك رغم بعض التصرفات النادرة هنا وهناك وهي بالتأكيد مبررة في ظل القتل الممنهج والهمجية والبربرية التي تستخدمها ضد الشعب.

ارحل لأنك غيبت العدالة وحولت القضاء إلى وكر للفساد والرشوة والابتزاز وجَيرت وشرعت القوانين التي تخدم مصالح زبانيتك والتي تصب بالنهاية في خزائنك، لأنك ظلمت البريء وبرئت الظالم والقاتل والمجرم لأنك أفرجت عن آلاف القتلة والمجرمين وسلحتهم لقتل أهلهم وسرقتهم وخطفهم وابتزازهم تحت ما يسمى باللجان الشعبية..

ارحل لأنك دمرت اقتصاد البلد وسلطت الحيتان من أهلك وأقاربك والمقربين من عصابتك لسرقة القطاع العام والنفط والآثار واحتكار المشاريع الاقتصادية الاستثمارية والأسواق والتحكم بالمواطن الذي أمضى حياته لاهثاً وراء تأمين أبسط حقوقه الإنسانية من تأمين لقمة عيش ومسكناً يأوي عائلته. بالديون والقروض التي أثقلت كاهله.. وتكفلت صواريخك وبراميلك بهدمها.

لأنك نشرت ثقافة الفساد والإفساد وسلطت فروعك الأمنية لتحصي على الناس أنفاسها وتترك أمن وحدود البلد إلى لصوص عصابتك وتجار الأسلحة والمخدرات،

لأنك حولت الإعلام الرسمي والخاص إلى مافيات وأبواق تروج لإنجازاتك الوهمية والكاذبة وتتبجح بمقاومتك وممانعتك التي كشفت الثورة العظيمة النقاب عنها.

ظن السوريون بداية أن الجيش سيقف إلى جانب الشعب ويحميه كما فعل الجيش التونسي الوطني وأن من كانوا يطلقون عليهم حماة الديار سيرفضون تصويب بنادقهم وأسلحتهم التي دفع الشعب ثمنها من دمائه.. وكانت خيبة أملهم كبيرة لأنهم قتلوا وأبنائهم على أيدي حماة الدمار متناسين أنك ووالدك بنيتما جيشاً لحماية كرسيكما وعصابتمكا وليس الوطن.

ارحل لأنك فككت الأسرة الواحدة وحولت أفرادها إلى مخبرين على بعضهم وعلى أهلهم وأصدقائهم وجيرانهم، لأنك قتلت روح المبادرة لدى أولادنا وشبابنا وقتلت مواهبهم وروح الإبداع لديهم وحولتهم إلى عبيد يسبحون بحمدك.. لأنك قلبت الموازين والمفاهيم والأخلاقيات والقيم وكرست ثقافة الفساد والإفساد والرشوة والعهر بكل معانيه في الوزارات والمؤسسات والإدارات في المدارس والجامعات وفيما يخص حياة المواطن ومعيشته وحولت مساحة الوطن إلى معرض لصورك وصور عائلتك وأصنامهم.

أردت اختزال وطن عظيم كسورية في شخصك وعائلتك لذلك قالها الشعب السوري بكل أطيافه وألوانه.. ارحل.. ودعّنا نلملم جراحنا ونداويها، لنغسل قلوبنا مما ألم بها من وجع وحقد، لنستعيد أنفاسنا وأرواحنا، لنحتضن أطفالنا ونعيد لهم طفولتهم، لنعيد لحمتنا التي كانت عبر التاريخ نموذجاً للعيش المشترك، لنتعلم الفرح من جديد و لنبني سوريتنا التي دمرتها وطننا لكل السوريين.

بدونك سننهض من جديد لأنك وعصابتك القاتل والفاسد الوحيد.

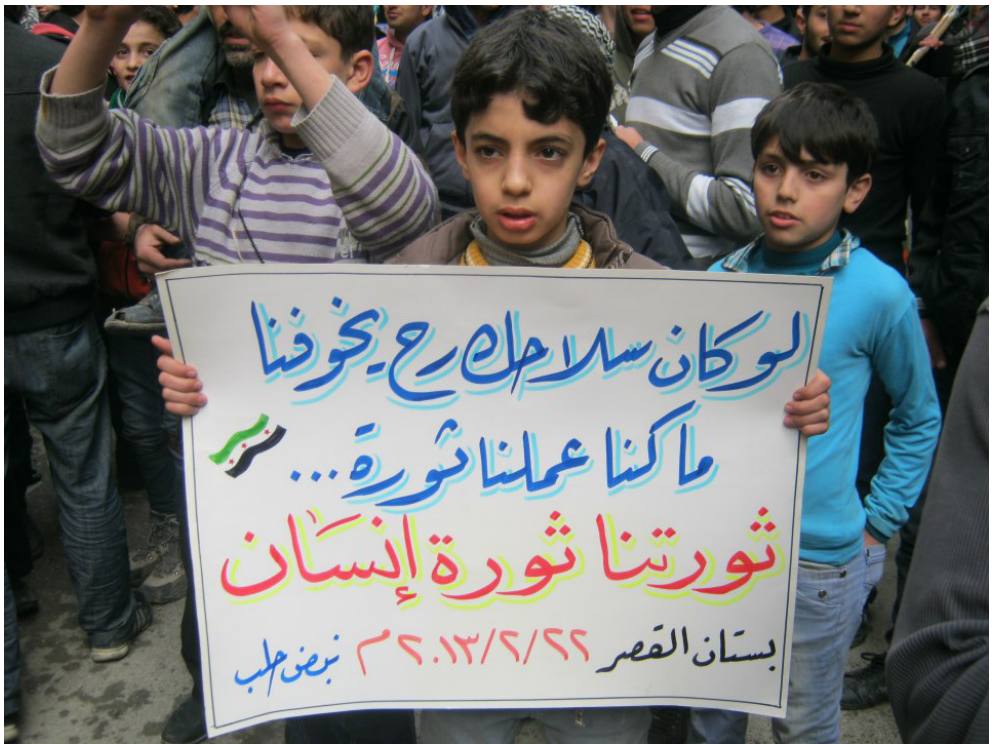

الحرب

■ رالف والدو إمرسون | ترجمة نورس مجيد

في مارس / آذار 1838 - بوسطن

أن يبدوَ مشروعُ السلام غايةً بعيدة المنال لفئة كبيرة من العقلاء؛ وأن تجده مجموعةٌ أخرى من الناس مدعاةً للسخرية والضحك؛ أو يعتبره صاحبُ الوقار ودَسَنُ الخُلق سبيلاً محفوفاً بالمصاعب العملية؛ فذلك أمر طبيعي جداً. يقولون: "هوذا مجتمعك البائس، ولن يتمخض عنه خير قط. السلام! عمّ تتحدث؟ نحن جميعاً في حال سلام أصلاً. ولكن إن تعمّدت أمةٌ إهانتنا أو تجرأت على نهب قوافلنا أو، في أسوأ الأحوال، أوعزت لسفنها بأن ترسو على شواطئنا لتنهب وتسلب وتقتل، فلن تجد بيننا من سيقعد تحت وابل السرقة والذبح؟ إنك بذلك تخلط الأزمنة وتبالغ في تقدير فضائل الرجال. ولعمري أنك تنسى أنّ المسالم الذي ينام قريراً في مدينته، ويرقد في مزرعته تاركاً عربته دون حراسة وكوخَه دون قفل، فهو إنما يفعل ذلك متكأً على مبدأ قبلهُ كافة الرجال: أنّ بارودَ البندقية وحبلَ المشنقة وقضبانَ السجن ستكون هناك، متأهبةً دوماً وعلى أتم استعداد، لمعاقبة من يتسوّل له نفسه تعكير هذا الصفو. الكلّ يقرّ بأن سياسة السّلم هي الفضلى، ولكن فقط لو كان العالم بأكمله كنيسة، وكان الرجال فيه جميعاً خيرة الرجال، ولو أذعن سوادهم الأعظم لهذه القاعدة، ولكن من العبث لأمة واحدة أن تسعى لبلوغ ذلك لوحدها".

في المقام الأول، نجيب على ما سبق بأننا لا نولي بالغ اهتمام لأي اعتراض يحترم فحسب الحالة الحقيقية لعالمنا في اللحظة الراهنة من الزمن، وإنما لتلك المواقف التي تعترف بصلاح هذا المشروع في عمومه، وتقرّ بتفوق هذه الرؤية في شكلها الدائم. فما هو نافعٌ يصير في النهاية حقيقةً، والحقيقة بدورها - أي ما هو في صالح الناس ويقبله سواد القوم - يجب أن تسود في نهاية المطاف، وتتفوق على العراقيل والاعتراضات كافة. فليس من خير ينعمُ به المجتمع اليومَ، إلا وكان يوماً مدعاة للجدل ومعرضاً للحوار والتفكير كما هي الحال مع مشروع السلام هذا، وإنّ الميل لتحقيق المصلحة الحقيقية للإنسان هو ما يجعل هذه المصلحة غاية هذا الإنسان وهدفه الأسمى.

وعلى ذلك، فإنه لدرسٌ يعلّمهُ التاريخُ للحكماء من الرجال أن يضعوا ثقتهم في الأفكار، لا في الظروف. لقد نشأنا جميعاً على مشهدِ لفرقاطةٍ أو ثكنة عسكرية؛ لحصونٍ منيعة وجزرٍ حصينة؛ ولترسانات وميليشيات. ويكفي أن تستعلم من أي مكتب خارجية ليحدّثك عن آلاف بل ملايين الرجال تسوقهم أقدارهم إلى الجندية خدمةً للمصالح الاستعمارية للإمبراطورية البريطانية أو روسيا أو النمسا أو فرنسا، فالمرء إذن يتهيب من التفكير في الكلفة الحقيقية للحفاظ على السلام في هذا العالم. هذا الجهازُ الهائل من العُتاد والأساطيل والمعاقل الحجرية والخنادق والأسوار المنيعة؛ وتلك الوتيرة الأزليّة لخطى الفيالق العسكرية؛ والتلويح المتواصل للرّايات الوطنية؛ ونفير استيقاظ الجند في الفجر؛ وهدير مدفع انصرافهم في الليل؛ وموسيقى الحرس التي تصدح دون توقف؛ والمسيرات العسكريّة التي لا تلأى؛ والأغاني الحربيّة التي لا تكلّ؛ كل ذلك يبدو وكأنه فريضةٌ لا مناص عنها، وواقعٌ لن يحيد عن مساره لقرون قادمة أمام بعض أصوات الاستهجان الخافتة لحفنةٍ قليلةٍ من دعاة السلام.

وهكذا، فلطالما كنا نتهيب من المظاهر فلا نرى أن قيمتها إنما تستقر هناك في القعر، في غيهب الحالة الذهنية. إن ما شيّد هذه المؤسسة الحربيّة العتيدة كان محض فكرة، والفكرةُ أيضاً هي ما سيكون كفيلاً بإزالتها من الوجود. والحال أن كل أمة وكل إنسان إنّما يحاصر نفسه مباشرة بجهاز ماديّ يتطابق وحالته الأخلاقية والذهنيّة. تأمّل كيف أنّ لكلّ حقيقةٍ أو خطأ أصلٌ لفكرةٍ في ذهن إنسان، فكرةٌ تلبس ذاتها لبوس المجتمعات والمنازل والمدن واللغة والمناسبات والصحف. تأمّل في الأفكار السائدة في زماننا هذا: من العقيدة، والشك، والتباشير، والتعليم العام، والاعتدال، والمناهج المناهضة للماسونيّة والرق، وانظر كيف جسّدت كلٌ من هذه المفاهيم التجريدية نفسها في جهاز فرض ذاته في بنيان المجتمع، وكيف تدفّقَ الخشبُ والطوب والصخر والجير في الشكل المناسب سمعاً وطاعةً لفكرة شاملةٍ وجدت مستقرّها في أذهان العديد من الناس.

فقد تسمع ذات يوم عن خاطرةٍ عبرت خيالاً جامحاً لإنسانٍ ما في خضم تأمّلاته السرية، من وحي قسم سرّي شائن. إرجع مرة ثانية، بعد عام أو اثنين، ولسوف ترى كيف تمخضت هذه الخاطرة عن أبنيةٍ عظيمةٍ من الخشب الصّلب والطوب والملاط، ولسوف تشهد مائة من المطابع تصدر مليون صفحة، ولسوف ترى رجالاً وجياداً وعجلات مسخّرةً لتمشي وتجري وتدرُج في سبيلها: لقد رُصد هذا البنيان المادي العظيم كلّه لخدمة هذه الفكرة العتيدة الواحدة لهذا الإنسان. هذا الأمر يحدث بيننا يومياً، وسنوياً، يحدث مع أنصاف أفكار غالباً ما تكون مصحوبة بكذب أشر، أو جزءٍ من سياسةٍ أو فرضيّةٍ ما. ومع رعايةٍ جديّة، قد تصمد هذه أعواماً ثلاثة أو أربعة قبل أن تختفي دونما أدنى أثر. ولكن عندما تتجلّى حقيقةٌ ما - شأن تلك الرؤيا التي بَرَقت في ذهن كولومبوس حول جزيرةٍ في البحر الغربي، فكان وحده من بين سائر الرجال من آمن بها - فإن هذه الرؤيا سوف تبني سفناً وأساطيل تحمل على متنها نصف بحارتها من إسبانيا والنصف الآخر من بريطانيا، ثم تغدو مستعمرةً، فدولةً، ثم أمماً، ثم تتحول إلى نصف كرةٍ جديدٍ يعجّ ببني البشر.

إننا لنحاصرُ أنفسنا دوماً، بقدر ما نملك من قدرة وما نحوزه من حرية، بصورٍ حقيقية لأنفسنا في الأشياء، سواء كانت سفناً أو كتباً أو مدافع أو كنائس. فالجيش المستنفر، والترسانة، والمخيمات، والمشانق، كلها ليست ذات صلةٍ مباشرة بالإنسان، فهي ليست سوى مؤشر يرينا أين هو الإنسان اليوم، وكم بلغ مزاجه من الجلف والجموح، وكم صار قبيحاً بين جيرانه، وإلى أيّ درجةٍ أحجمت أوصاله عن المحبة، وإلى أيّ درك تدنّت آماله. فمَنْ يهوى حدّ الحربة لا يرى في شعاعها إلا ما كان يشعرُ به من قبل في خفاقة قلبه: إنه ذلك الطمعُ وتلك الكراهية، وهي تلك الشفاهُ المرتعشة، وتلك النظرات الحاقدة الباردة، هي ما بنى مخازنَ الأسلحة وعنابر البارود.

والحق، أن أدنى تغيير يصيب المرء يستتبعه بالضرورة تحولٌ في ظروفه، سواء كان ذلك أقلّ نموّ يمكن سبره في أفكاره، أو أدنى اهتزاز يصيب مشاعره في صلاته مع بقية الناس. أنْ تلهمَهُ على سبيل المثال شِغافُ رحمةٍ أو رأفةٍ تبرّ بها أرواح البشر، فيشعر بأن كل إنسانٍ بات بالنسبة له ذاته الأخرى التي بمقدوره أن يلتحم معها كما تلتحم اليد اليسرى مع اليمنى. إن أيّ درجة من درجات ارتقاء هذه المشاعر سوف يقابلها بالضرورة تغيير صارخ في الظاهر من الأشياء: عندها سوف تُضرب الخيام ويتقادم السن برجال الحرب على الشطآن، وستتلفُ الأسلحةُ من الصّدأ، وتتحوّل المدافع إلى تماثيل على النّواصي، والحرباتُ إلى رماح لصيد السمك، وأفواجُ الجنود الزّاحفةِ تغدو قوافلَ من المهاجرين ورواد السلام تعبر مناهل الواباش وميسوري. هذا ما يجب أن يحدث وهذا ما لسوف يكون: الحرابُ والسيوفُ عليها في البدء أن تنسحب قليلاً من حالةِ الاختيال التي تسمها اليومَ إلى أن تختفي بعدئذٍ عن الأنظار، لتفسح المجال لدعوة الأصدقاء والأقارب فقط، وبعدها، وفي نهاية المطاف، تُنقَل إلى المتاحف ليَنْظُرَها الفضوليّ كما ننظر إلى أدوات السمّ والتعذيب في متاحفنا اليوم.

وهكذا يصوغُ الحربُ والسلم ذاتيهما في هذه الحالة الزئبقيّة من التخلّق: الإنسانُ في مرحلةٍ من مراحل تطوره يقاتل إذا امتلك إلى القتال متاعاً من قوةٍ أو فطنة. ثم في مرتبةٍ أعلى، يتورّعُ عن المبادرة بالهجوم على أنّه يبقى متأهباً لصد العدوان بعزيمة وشجاعة. ثم يصل في مرتبة أعلى إلى حالة من القداسةِ تبارِحُهُ معها نوازعُ الشّغف، وتتحول طبيعته المحاربة إلى حالة علاجية نشطة، فيضحي بنفسه ويسارع بابتهاج إلى تقبل المهام الجسام التي للإنكار والإحسان؛ وعندما يتعرض للهجوم، يصبر، ويدير خده الآخر للمعتدي، فهو بذلك مجاهدٌ من خلال وجوده ذاته، ليس لخدمة فردٍ بعينه، وإنما للروح الجامعة لسائر بني البشر.

منذ أن طرحت مسألة السلم أمام الوعي العام، قُوبلَ أولئك الذين آمنوا بحقّ وعدالةِ هذا المبدأ باعتراضات متباينة الشدة. فثمّةَ قضايا لطالما تذرع بها الفضوليون - قضايا أخلاقية شبيهةٍ بمسائل الرياضيات التي يعصر السذجُ في سبيل حلها أدمغتهم خلال أمسيات الشتاء الطويلة - . فيقال عموماً: إما أن تقبل بهذا المبدأ على حسناته وسيئاته وتتمسك به حتى النهاية فتصطدم بنتائجه المزعجة، وإلا فإنك إن آثرت بأن ترسم لنفسك خطاً افتراضياً فتقول: "إلى هذا الحد وليس أبعد من ذلك"، فعليك إذاً أن تحيد عن هذه السبيل وتتحرى الحدّ الذي قبل به عموم البشر، والذي يرى في الحرب الهجومية جرماً، وفي الحرب الدفاعية حقاً. أمّا لو قررت الالتزام بالمبدأ، فسيكون لزاماً عليك إذن أن تتبع منهجاً متسقاً فتتخلى كليّةً عن الدفاع عن النفس في طريقك، في عقر دارك. فهل لك الجَلَدُ على المضيّ إلى هذا الحد؟ هل لك أن تبقى قابضاً على إيمانك باللامقاومة عندما يتعرّض صندوقك الصلب للخلع والفتح، وحين تتعرض زوجتك وأطفالك للإهانة أو الذبح على مرأىً منك؟ إذا أجبت بنعم، فلكأنّك تدعو اللصوص والقتلة إلى صدر بيتك، وحينها ستسحق ثلة من المجرمين القلّة المتبقية من الأخيار من الرجال.

وللرد على السذاجة التي تنطوي على هذه الفرضية المتطرفة للسلم كما يظهر من نتائجها المفترضة، أجدني أقول إن خلاصة كهذه إنما تلامس شطر الحقيقة فحسب، إذ أنها ترى الوجه السلبي لصاحب السلم وتعجز عن إدراك دريئة نشاطه وعمله. من الحريّ بنا أن نعتقد أنْ ليس من إنسانٍ اعتنق يوماً مذهب السلام والإحسان هذا وغايتُهُ القصوى ومَرْضاتُهُ أن يتعرّض للذبح والنهب، فالإنسانُ لا ينشُدُ مرتبة الشهادةِ ما لم يملك غاية حقيقية أو دافعاً موازياً أو محبة متقدة. لو قدّر لك بأن تجد أمةً بلغ رجالها هذه المرتبة الأخلاقية التي تنأى بهم عن إعلان الحرب أو حمل السلاح، من رجال شدّت رؤوسهم من هذا العبء الثقيل مَنّ الجنون، فستكون تلك أمةً من المحبين والمحسنين، من ذوي القدرة

والمجد. إبحث عن أمة كهذه ولسوف لن تجدها خاضعة خانعة تدلت فيها الأذرع من على جانبي الجسد، بل ستجد فيها رجالاً يكرزون بالمحبة والشرف والحقيقة؛ رجالاً ذوي صنعة هائلة؛ رجالاً بلغ أثرهم تخوم الأرض كافة؛ رجالاً حملوا في صدى أصواتهم وعلى جباههم سيماء الحشمة والشرف، فتسخّرت جميع القوى لخدمة طاقاتهم وحكمتهم. إننا على ثقة من أن أيّ أمة تجودُ بمذهب السلام لن تكون أمة مستباحة، بل تلك التي وثقت أواصر صداقتها في صميم كل إنسان على الأرض كان عنيفاً أو وضيعاً؛ أمة لا يزدهر في مواجهتها أي سلاح، وينظر إليها على أنها ملاذ للجنس البشري برمته، فاستحقت بذلك بركات وأدمع كل الناس.

وفي المقام الثاني، وفيما يتعلق بطبيعة رد فعل المرء في الأزمات والمواقف الصعبة، نجرؤ على القول إن امتحاناً كهذا نادراً ما يواجه إنساناً صالحاً وعادلاً، ولا نتورع في المقام ذاته عن القول، أو حتى معرفة، ما ينبغي القيام به للنجاة من هذا النوع من المحن. إن الحكيم لا يرتهنُ مستقبله ورودوه أبداً، ولا يقرر مسبقاً ما ينبغي القيام به في ساعة الكرب، فالطبيعة والرب كفيلان بإرشاده في تلك الساعة.

والسؤال الذي يطرح نفسه بطبيعة الحال: كيف لهذا الطموح الجديد والواعد للعقل البشري أن يصير جلياً وحقيقياً؟ وما هي السبيل إذن لتمرير الأفكار إلى جوهر الأشياء؟

وأجزم، بدايةً، أن ذلك لن يكون بسلوك طريق الروتين والشكليات السائدة - وهي الوسيلة الأكثر شيوعاً في السياسة الحديثة؛ ولن يكون ذلك بتنظيم المجتمع وإطلاق القرارات والبيانات العامة ليتم اعتمادها رسمياً من قبل الناس وإدراجها تباعاً في النشرات الصحفية؛ لقد جربنا هذه اللعبة حتى السقم. ففي بعض مدننا يختارون مبارزاً مشهوراً ليصبح رئيساً أو ضابطاً في مجتمع لا يأبه بالمبارزين. والرجال الذين يمجدون هذا الغرور المتضخم المسمى بالرأي العام، لسان حالهم يقول إن كل شيء سيكون على خير ما يرام ما أن تُطرَحَ ترُهاتهم خلال ما يكفي من الاجتماعات والخطابات، في واحدة أو اثنتين أو ثلاثة من الجلسات العامة، لكأن في وسعهم القيام بأي شيء: يصوتون مراراً وتكراراً، ويصيحون (مرحى) لهذا الجانب ثم لذاك. ليس هناك من يتحمل أدنى مسؤولية، وليس هناك من يهتم قيد أنملة. وفي الموسم التالي، يندلع نزاع هنا مع الهنود، وتتعرض تجارة هناك لغارة من قبل الملاوي، أو يكون الحزب الذي يصوت لصالحه هذا الرجل في معرض طرح مشروع جديد أمام مجلس الشيوخ: وعلى الفور يشيح برأسه في الاتجاه الآخر منادياً: الفوضى، الحرب!!.

وهكذا فلن يكون ذلك إذن بمعيّة الرأي العام، وإنما على العكس بجريرة الوعي الخاص، والقناعات الخاصة، وبتفشي المحبة الخاصة وأواصرها الجادة والصادقة. فالأملُ في إنقاذ هذه الغاية إنما يرتكز حقيقةً على تعزيز البصيرة، وسبيل ذلك إنما يكمنُ في التعليم العفوي للروح في خفايا تجاربها وتأملاتها: أنّ الوقت قد حان للانتقال من حالة الوحش إلى حالة الإنسان؛ لقد آنَ أوانُ الإنصاتِ إلى نداء الرّب يطردُ الشياطينَ التي نخرت في بنيان الإنسان ومزقت أشلاءه، لتغادره حالاً، وتعافَهُ يرتدي كساءَهُ ويسيرَ على صراط وعيهِ الصّادق. وفي المقام الثاني، فإن فريضة السلام لن تصير واقعاً بوازع الخوف، ومن المحال أن يدافع عنها أو يوفَقَ في أدائها الجبناء. فالغايات العظيمة لا ترى النور إلا بروح من المجد والعظمة، والإنسانية التي رقدت طويلاً في سباتها، عليها أن تجهد لتحقيق غاية السلام، فتفقد الحرب في النهاية سحرها، ويصير السلام مبجلاً بين البشر.

على أن غاية السلام ليست غايةَ الجَبَانةِ، ولو أن الحفاظ على السلم والذود عنه كان لحماية المترف وصاحب العظم الخرع لكان السلام شيناً، ولكان في كينونته زائفاً ومهيناً. الحربُ في هذه الحال أفضل، والسّلامُ لن يسلم من الكسرَ. وإذا قدّرَ للسلم بأن يستقر، فقدره أن يستقر بعزيمة الشجعان من الرجال الذين سمت عزائمهم لمرتبة الأبطال إذ أقبلوا طوعاً على حمل الأرواح على الأكف وبذلها، في كل لحظة، في سبيل غايتهم، بل ممن ترفعوا فوق مرتبة الأبطال بدرجة إضافية إذ أحجموا عن سلب حياة رجل آخر - رجال أدركوا قيمتهم الذاتية، سواء بما اكتسبوه من بصيرة أو بما بلغوه من سمو روحي، فهم لا يعتبرون أملاكهم أو حتى أجسادهم متاعاً قيماً يتوجب الذود عنه باللجوء إلى مبدأ منحط كهذا الذي يتعامل مع الرجال كالخراف.

فإن كانت الصيحةُ العالميّةُ للإصلاح ضدّ هذه الوفرة من الإساءاتِ المترسّخة التي يدور في كنفها المجتمع، وكانَ سعيُ طائفةٍ كبيرةٍ من الشباب بحثاً عن مرابع الإيمان والأمل، من معين فكر أو بئر عقيدة، سعياً أوشك على أن يبلغَ غايتَه - إذا كان كل ذلك بارقة خير يمكن الاستبشار بها؛ وإذا واصلنا البناءَ في بحثنا وعملنا على الأغوار الخصبة التي لم تُسبَر بَعدُ لهذا المُركب الإنساني، وعززنا جهودنا للكشف عن السنن التي تكتنف الأخلاق، وارتيادَ آفاق للمناهل الغنية التي تنبثق عن الأمل والثقة، في الإنسان بدلاً من بطون الكتب، وفي الحاضر بدلاً من تخوم الماضي؛ وإذا نجحنا في تحفيز الأجيال الشابة على التفكير في عبث الخوض في رجس الماضي، ووُفّقنا في حثهم على تذوّق الغنائم السخية التي تعود بها مكارم التقشف والفضيلة؛ إذاً نجحنا في ذلك فإن شمسَ الحرب لا محالةَ ستغربُ قريباً، والدم سيحجم فَي النهاية عن التدفق.

وليس بأمر ذي شأن أن ندرك بأي وسيلة، ومن خلال أي أجهزة، سيتسنى لعقيدة الرحمة والقداسة هذه أن تتحقق، فمقترح مجلس الأمم هو لا شك النقطة التي يلتقي فيها النسيج الحالي لمجتمعنا والمسار الراهن للأحداث. على أن الوعيَ، حين ينصاع لسلطان المبادئ، لن يعجز عن إيجاد الوسائل للتعبير عن إرادته. تلك هي أعلى نقطة التقاء في المكان والزمان حيث ستبدأ هذه المؤسسة عملها. ليس في إحدى تلك الزوايا النائية، ولا في أوروبا الإقطاعية، ولا في المواريث العتيقة التي لا تتيح السير خطوةً واحدةً للأمام دونما تمرد، سوف تنغرس بذرة السلام هذه في تربتها، وتروى بدموع الأمل؛ وإنما في مرابع أمريكا الرب والإنسان الواسعة، حيث الوريقات الصفر بدأت للتو تعلن عن خريف غاباتها، والأرض الخضراء تشرع أبوابها لاستقبال الخلق من براري القهر والذنب. هنا، لن تكون عائلة واحدة ولا حتى مجموعة من الناس، بل البشرية بأسرها، من سيعلن عما سيصير بين الناس واقعاً؛ وهنا سوف نسأل: هل ستكون الحرب؟ أم سيكون السلام؟

* ترجمة لمقال "الحرب" لـ رالف والدو إمرسون كما ورد في كتاب هوارد زين: "سلطان اللاعنف، أطروحات دعاة السلام". The Power of Nonviolence استثنى هوارد زين بعض المقاطع من المقال الأصلي ولم يوردها في كتابه، ولم ترد ترجمتها هنا (المترجم).

حازم صاغية: هجاء السلاح.. المقاومات كحروب أهلية

■ ياسر مرزوق

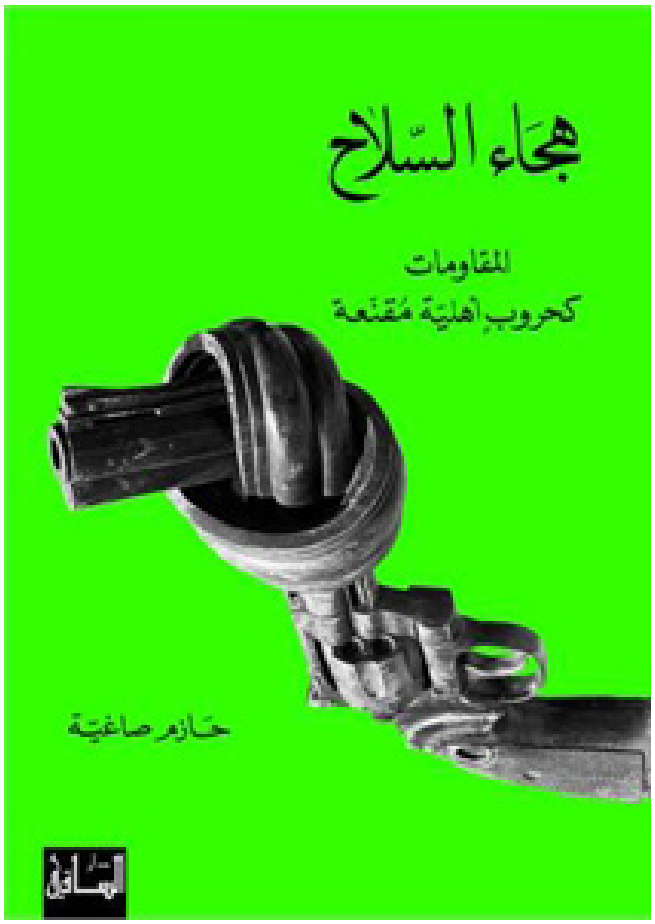

كتابنا اليوم الصادر عام 2011 للكاتب اللبناني "حازم صاغية" قد يكون بدايةً لسلسلةٍ من المؤلفات التي تدور حول فكرة الشرعية في العصر الحديث، شرعية المقاومة التي تستمد من وجود الآخر، لتبقى هذه الشرعية حتى بعد غياب الخصم، وهذه الفكرة وإن مرت مروراً في كتابنا اليوم إلا أنها شكلت جل مؤلف صاغية اللاحق "الانهيار المديد" الصادر عن دار الساقي أيضاً عام 2013..

واستهل صاغية كتابه بالقول: "ندر أن حظيت كلمة ما بالتقديس الذي حظيت به، وتحظى، كلمة «مقاومة». وهو ما يمكن رده إلى مصادر عدة لا تختصرها جلافة السلوك الكولونيالي وعنجهيته المؤكدتان. ذاك أن التقديس، على ما يدل عديد التجارب، يعيش أطول كثيراً من الكولونيالية وجلافتها، كما يتحول أساساً لشرعية ثورية تعمل، لتبرير نفسها واستمرارها، على استحضار الماضي الكولونيالي، رمزياً إن لم يكن فعلياً، من خلال سياسات راديكالية وصدامية.

والحال أن بعض مصادر التقديس يتصل بضعف إنجازية الأنظمة التي تلدها المقاومات وبميلها، من ثم، إلى حرف الأنظار عنها في صورة متواصلة. إلا أنه يتصل، كذلك، وهو أهمّ وأبعد أثراً، بقيم سياسية حديثة وقديمة معاً، أولاها تزدهر في بيئة النُخب، كمثل رفض الاستعمار والاحتلال وحق تقرير المصير، والثانية موصولة بالرجولة والكرامة والشرف، مما تتشارك فيه الجمهرات العريضة والزعامات التقليدية والمراتبية، المدينيّ منها والريفي".

وعلى عكس ما تقوله المقاومات من أنها توحّد بلدانها في وجه عدوّ أجنبيّ، تدل التجارب على كونها هي نفسها تعبيراً عن نزاع أهليّ محتدم. فإيرلندا، مثلاً، بوصفها البلد الأسبق عهداً بالمقاومات، مثالٌ واضح على تساوي الحرب الأهليّة والمقاومة. وفي فرنسا زُيِّنت المقاومة بما يخفي الانقسام الداخليّ حولها. ومثّلت المقاومة في الجزائر مصدر الشرعيّة للدولة المستقلة، ما أدّى إلى استعصاء الجزائر، منذ الاستقلال، على الشرعيّة الدستوريّة.

يرى المؤلّف أن المقاومات لا تزيد النزاعات احتداماً فحسب، بل إن انتصارها يقضي تماماً على إمكان أن تنشأ حياة سياسية وأن يُعمِل بموجبها. ذاك أنّ الشرعيّة في ظلّ المقاومات تنبثق من المقاومات نفسها، وهذا ما يجعل البلدان التي تنتصر فيها المقاومات تُنكب بأنظمة استبداديّة تضاف إلى نكبتها بالاحتلالات.

والمقاومات بحسب صاغية في معظمها تشرع الأبواب للتدخلات الاجنبية. ولمناصرة فريق ضد فريق أخر. ان هذه النتائج ليست حكرا على المقاومات المسلحة، المقاومة الهندية ضد بريطانيا، والتي لم تحل رغم سلميتها، دون نشوب حرب أهلية شرسة، انتهت بتفتت الهند الكبرى إلى دولتي الهند وباكستان. ولكن صاغية يستدرك معلقا: "ان الانشقاق الطائفي المزمن والعميق، بين الهندوس والمسلمين، كان لينفجر بعنف أكبر بكثير من العنف، الكبير حقا، الذي شهدته حرب 1947، فيما لو كانت مقاومة الهنود للبريطانيين عنيفة ومسلحة، وفيما لو كان توافر السلاح في أيديهم معمما".

ويؤكد صاغية أن تركيبة المقاومة بأجمعها تجاهد وتكابد للحفاظ على حياتها، فلا تتعرض للحل أو التسريح إلا متى أصبحت هي نفسها السلطة، كما لا تتوقف مرة عن تعميم تضحياتها وتحويلها مادةً للمقايضة الضمنية مع المجتمع، هكذا تنتزع من الأخير حريته وسلطته وتستولي على إدارة شؤونه، يضاعف الاحتمال هذا أن المقاومين أكثر تعطشاً إلى السلطة بسبب صدورهم عن بيئات مقصاة تاريخياً عنها، وأما إلحاح متعدد المصادر كهذا تضعنا المقاومة الظافرة أمام احتمالين أحلاهما مر: إما أن تحكم وينشأ الاستبداد، وإما ألا تحكم وتندلع الحرب الأهلية". ويوضح أنه في الحالة الأولى، يشكل التعويل على المقاومة، بوصفها شرعية لحياة مستقبلية، تأسيسا للاستبداد بحق جزء من الشعب، لم يأخذ بعين الاعتبار رأي الطرف المقاوم. وهذه الشرعية المزعومة، تطالب لنفسها بثمن باهظ للدم الذي دفعته، ذلك بعد أن حققت الانتصار المنشود، وغالبا ما يكون التعويض مضادا للطبيعة، ولا تقوى تركيبة البلد على منحهم إياه.

وفي الحالة الثانية، فإن نشوب حرب أهلية أمر متوقع، وذلك - طبقا لما يقوله المؤلف، متى كان الطرف المقاوم، أقل بلوغاً لسوية الدولة الأمة والوعي الذي يلازمها، تركزت الهوية في سمار وخانة تشكلها وانسجامها في وجهة تكون معها هوية جماعة بعينها، ومن ثم وصولا، وبمقتضيات تلك العلمية والمبادرة، إلى حمل السلاح.. والذي مصيره أن يتحول، في ظل هذه التوجهات والأجواء، إلى أن يكون أداة تنبيه إلى تمايز الهويات داخل البلد الواحد، ومن ثم أداة احتراب أهلي.

ويرى صاغية، وعن تتبع ما يتعلق بالمقاومات في تاريخها وفعلها والآثار التي خلفتها، أن المقومات حروب أهلية مموهة أو مقنعة، ويضيف إذا كان المؤرخون والباحثون السياسيون هم المتروك لهم أن يقرروا ما إذا كانت هذه المقاومة تقدمية أو رجعية، تواكب خط التقدم أو تجافيه، محقة أو غير محقة، فإن كتابنا هذا يتحرك في رقعة معرفية ضيقة لا يتوخى منها استخلاص أحكام سجالية أو التحريض على إتباع دروب معينة يقال إنها وحدها الموصلة إلى أهداف مرغوبة.

ضمن صاغية كتابه في خمس فصول أتى الأول تحت عنوان "صناعة المقاومة الفرنسية" ويعتبر أن أهمية المقاومة الفرنسية تنبع من أهمية المقاومة ذاتها، وأن ما هو منسوب إلى المقاومة وليد ضعف أهميتها الفعلية، لكنه وليد الاضطرار إلى التوفيق بين ذاك البلد وصورته عن نفسه، كحجم سياسي واقتصادي مؤثر وكوزن ثقافي ضخم، لاسيما في الفترة الممتدة من نهايات الحرب العالمية الثانية حتى بداية الثمانينيات.

وبعنوان "مقاومة المقاومات الجزائرية" يقول صاغية: شكلت المقاومة مصدر الشرعية لدولة الجزائر المستقلة على تعاقب حكامها، وبات بلد المليون شهيد نموذجاً ملحمياً لثورات العالم الثالث الاستقلالية، والراهن أن حرب التحرير الفرنسية الجزائرية احتوت ثلاث حروب على الأقل في داخلها، حرباً أهلية بين جبهة التحرير والقوى الوطنية المنافسة لها، وحرب عصابات بين الجبهة والجيش الفرنسي، وحرباً ثقافية وسياسية في ما بين الفرنسيين السياسيين منهم والمثقفين.

وعن أيرلندا: معادل الحرب الأهلية: "قد لا ينطبق وصف المقاومة، بالمعنى الكلاسيكي للكلمة، على أيرلندا نظراً إلى أن تاريخها على مدى قرون تخلله مسار مقاوم، فضلاً عن أن مقاومتها لا يمكن أن تكون من الصنف المفضي لا نظرياً ولا عملياً إلى الإمساك بالسلطة بعد التحرير، أو بعد الاستقلال، نظراً للانقسام الديني المتجذر.

يتابع صاغية وبثقافة تاريخية وسياسية واسعة، عناوين حروب الأهل في أوروبا الجنوبية، جنوب شرق آسيا أي انتصارات، أفريقيا المقاومة كنقيض للشرعية.

حازم صاغية كاتب سياسيّ ومعلّق في جريدة "الحياة". أصدر عدداً من الكتب في السياسة والثقافة السياسيّة العربيّتين، منها "بعث العراق: سلطة صدام قياماً وحطاماً"، "العرب بين الحجر والذرة: فسوخ في ثقافة سائدة"، "وداع العروبة"، "هذه ليست سيرة"، "نواصب وروافض"، "نانسي ليست كارل ماركس"، "مذكّرات رندا الترانس"، " قضايا قاتلة "، "أنا كوماري من سريلانكا"، "البعث السوري"، "الانهيار المديد: الخلفية التاريخية لانتفاضات الشرق الأوسط العربي".

صاحب المهماز: زكـــريا تامـــر

■ ياسر مرزوق

ولد زكريا تامر في حي البحصة الدمشقي عام 1931، وهو في الأصل من قرية السلمية التي انجبت العديد من المبدعين في سوريا، وبسبب الأوضاع الاقتصادية المتردية اضطر إلى ترك الدراسة عام 1944، والعمل في مهنة الحدادة، قال محمد الماغوط: "بدأ زكريا تامر حياته حداداً شرساً في معمل، وعندما انطلق من حي البحصة في دمشق بلفافته وسعاله المعهودين ليصبح كاتباً، لم يتخلّ عن مهنته الأصلية، بل بقي حداداً وشرساً ولكن في وطن من الفخار، لم يترك فيه شيئاً قائماً إلا حطمه، ولم يقف في وجهه شيء سوى القبور والسجون لأنها بحماية جيدة!"..

وقال عنه أيضاً: "إنّه الحداد، مرة يطرق الصلابة الخرساء، فتنبجس أزهار الجمر، ومراراً يخبط، ثمّة، شوارع وأزقة وأقبية وأساطير تنفتح على مشاهدها الدموية. وفي الوسط، في وضح النهار، أو عتمة الليل، يرقص الكائن "المذل المهان" من الجوع والألم والقهر والغضب على إيقاع التعاويذ والشتائم واللعنات".

خلال شبابه كانت القراءة هاجساً لدى زكريا، وقد قال في حديث صحفي وهو من قال: "وأزعم أنني قبل أن أحاول الكتابة قرأت معظم ما تشتمل عليه المكتبة العربية من كتب مؤلفة أو مترجمة، ولم أقرأ الكتب الأدبية فقط بل قرأت كتباً متنوعة الموضوعات.. سياسية وفكرية واقتصادية وعسكرية. حتى الكتب ذات الموضوعات المتعلقة بالزراعة وشؤونها لم أهملها وحظيت بقدر كبير من اهتمامي. لكن قراءاتي كانت قراءة من يمتلك معدة سليمة قادرة على هضم كل ما يفد إليها من طعام وتحويله إلى مادة تقوي الجسم وتنميه، وكان ما قرأته هو الأرض الصخرية التي انطلقت منها كي أكتب على الورق رؤيتي للإنسان والحياة محاولاً التعبير عن صوتي الخاص لا أن أكون صدى لأصوات الآخرين معتقداً أن الأديب حين يكون مجرد صدى، يفقد مسوغ وجوده كأديب، ويصبح استمراره في الكتابة نوعاً من جرأة غير مستحسنة لا تخلو من وقاحة وغباوة.

وعندما بدأت كتابة القصص لم أحاول التقليد أو الخضوع لأساليب سائدة. كتبت ما أطمح إلى قوله مؤمناً بأن ما يُظن بأنه غير واقعي هو الواقعي بحق. وكنت حين أكتب قصة ما، أتمتع بحرية أفتقدها في عالم الحياة اليومية، فتحاول قصصي ألا تعترف بأية حدود بين مختلف العوالم، فلا حدود بين الموت والحياة والوهم والتخيل والحلم والخيال والواقع الشديد القسوة. وهذا الإلغاء لتلك الحدود هو في رأيي من أهم ما حققته في قصصي لأنه الأصدق في تصوير الأعماق الخفية لتلك المخلوقات البشرية التي تعيش على سطح الأرض العربية.

في مطلع الخمسينيات انتسب تامر للحزب الشيوعي السوري، وفي منزله في البحصة ارتأى الشيوعيون أن تكون مطبعة حزبهم في مرحلة العمل السري زمن أديب الشيشكلي، إلا أنه ما لبث أن ترك الحزب، كيف لا وهو الكاره لكل القيود والسلطات، وقد تجلى ذلك بوضوح في أعماله الأولى حيث يحاصر الفرد الصغير بالسلطات المختلفة بدءاً من السلطة الدكتاتورية للأب في المنزل، كما في قصص: "ثلج آخر الليل، البدوي، وجه القمر، عرس شرقي"، وانتهاء بسلطة الدولة ممثلة برجال الشرطة، والمحققين، والقضاة، كما في قصص: "السجن، المتهم، الذي أحرق السفن، مغامرتي الأخيرة، الجريمة.. إلخ".

وهذه السلطات المدعّمة على أرض الواقع بقوّة الأخلاق، والدين، والقانون.

لاحق تامر حلمه بالكتابة، وهو من قال في "دمشق الحرائق": "الحلم راية بيضاء منحت ظلاً نديا لأيام طفولتي. الرايات البيض محطمة في قعر المدينة".

عام 1960 صدرت أولى مجموعاته القصصية وكانت بعنوان "صهيل الجواد الابيض" ليتفرغ نهائيا للكتابة والعمل في مديرية التأليف والنشر في وزارة الثقافة السورية. ولقد ساهم زكريا تامر في تأسيس اتحاد الكتاب بسوريا في اواخر عام 1969 وكان رئيساً للجنة سيناريوهات أفلام القطاع الخاص في مؤسسة السينما في سوريا. شارك في مؤتمرات وندوات عقدت في بقاع شتى من العالم. وكان رئيسا للجنة التحكيم في المسابقة القصصية التي اجرتها جريدة "تشرين" السورية عام 1981، والمسابقة التي أجرتها جامعة اللاذقية عام 1979، وكان عضوا بلجنة المسابقة القصصية بمجلة "التضامن" بلندن.

عام 1981 هاجر ليستقر في بريطانيا، وعن سبب انتقاله إلى بريطانيا يقول تامر: "السبب الظاهر لتركي دمشق هو منعي من النشر داخل سوريا وخارجها، ولكن السبب الأعمق والأساسي هو أن معركة دامية نشبت قرب بيتي بين رجال الاستخبارات وعضو مطلوب من الإخوان المسلمين، وعندما نفدت ذخيرته، أقدم على تفجير جسده بقنبلتين يدويتين، وظلت أشلاؤه أكثر من ساعتين مرمية على أرض الشارع، ورأيت أطفالاً يلعبون بقطع اللحم الممزق ويتقاذفونها بأقدامهم، عندها شعرت أني أعيش في عالم أعجز عن فهمه، ولا صلة لي به، وأفضل ما أفعله هو الفرار منه. وهذا ما أقدمت عليه غير آسف أو نادم".

تنقل تامر بين كيريات المطبوعات العربية، فعمل رئيساً لتحرير جريدة "الموقف العربي" السورية، ثم رئيساً لتحرير مجلتي "رفاف" و"أسامة" للأطفال السورية. ثم مديراً لتحرير مجلة "لدستور" لندن. ومجلتي "التضامن" و"الناقد" اللندنيتين.

أثبت تامر أن الطاقة الشعرية تكمن في سائر الموجودات، وهي ليست حكراً على الشعر وحده، وإن القصة القصيرة لتتضح فيها سمة الشعرية على نحو بارز يجعلها أقرب الفنون النثرية إلى الشعر الغنائي. ولقب "شاعر القصة القصيرة" قال عنه الناقد صبري حافظ: "إن زكريا تامر قصاص تفيض أقاصيصه بطاقة شعرية كثيفة لم تعرفها الأقصوصة العربية من قبل..".

ومن عالم الواقعية السحرية يستدعي تامر خالد بن الوليد والحسين بن علي وطارق بن زياد وهارون الرشيد وكافور الإخشيدي وجنكيز خان وتيمورلنك وصلاح الدين ونابليون بونابرت وكليبر وهنري غورو وسليمان الحلبي والخديوي عباس وعمر المختار ويوسف العظمة ومحمد عبده والكواكبي.. و عنترة بن شداد والشنفرى وأبي نواس والمتنبي وعمر الخيام وعبد الله بن المقفع وأبي حيان التوحيدي وابن سكرة وأحمد شوقي وأمل دنقل وخليل حاوي وكامل الكيلاني.. و شهريار وشهرزاد والسندباد وجحا.. و عباس بن فرناس وأبي الحسن بن الهيثم. ضيوفاً في مملكته القصصية

و في عالمه القصصي لم يعمد تامر إلى التغنّي بأخلاقيّات الإنسان البسيط، ولا التفجّع عليه بقدر ما عرّى مرتكزات القبح عنده ممثّلة بالسلطات المختلفة، ودورها في إعادة صنع الإنسان على شاكلتها.

قصص زكريا تامر تلغي الفواصل بين الواقع والمتخيل، وفي قصصه تنبؤ بما آلت إليه الأحوال في بلده سورية، ومن بينها قصة «قبر خاو» التي تتحدث عن جنرال يتحوّل ضبعاً يأكل عائلته، فيقتله أحد حراسه، من دون أن يدري أن الضبع هو الجنرال، بعدما انكشفت حقيقته الدموية.

ترك زكريا تامر بصمة بارزة في الأدب العربي الحديث جعلت بعضهم يسمونه «تشيخوف العرب»، و«شاعر القصة العربية»؛ إذ تتقارب تجربته مع تجربة تشيخوف في بساطة اللغة والأداء، وفي وضع اليد الماهرة على الجوانب الإنسانية الضعيفة، قال عنه الدكتور حسين جمعة.. إن زكريا تامر «لا يشعل الحرائق في العالم العفن، ولكنّه يخلق في نفس الإنسان ضرورة الخلاص من ذلك العالم العفن».

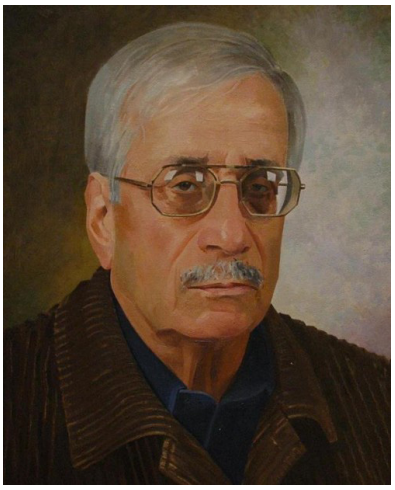

أعماله:

- صهيل الجواد الابيض: (قصص) 1960م.
- ربيع في الرماد (قصص) 1963م.
- الرعد: (قصص) 1970م.
- دمشق الحرائق: (قصص) 1973م.
- لماذا سكت النهر: (قصص للأطفال) 1973م.
- النمور في اليوم العاشر: (قصص) 1978م.
- قالت الوردة للسنونو: (أطفال) 1978م.
- نداء نوح: (قصص) 1994م.
- سنضحك: (قصص) 1998م.
- أفا!: (مختارات قصصية) 1998م.
- الحصرم: (قصص) 2000م.
- 37 قصة للأطفال نشرت في كتيبات مصورة 2000م.

ترجمت أعماله إلى اللغة الفرنسية والروسية والانجليزية والالمانية والايطالية والبلغارية، والاسبانية «كتابان» والصربية (ثلاثة كتب). كتب 27 قصة للأطفال تشرف في كتيبات مصورة وفي عام 1985 كان يعد صفحتين اسبوعيتين للأطفال في جريدة «القبس» الكويتية، وكذلك كان يقوم بالإشراف على صفحات الاطفال لمدة سنتين بجريدة «الاخبار» الاردنية، فضلا عن الزوايا الاسبوعية واليومية والشهرية في عدد من المجلات السورية والعربية بشكل عام. وأعدت عن قصصه دراسات ورسائل ماجستير ودكتوراه في العديد من الجامعات العربية والاوروبية.

مع انطلاقة الثورة السورية أنشأ صفحة "المهماز" على موقع "الفيس بوك" ليكتب فيها "جريدته اليومية من دون عين رقيب". يكتب عن الحرية التي اقتربت شمسها، وعن تضحيات الشعب السوري العظيم، وهو القائل: "أثبت الشعب السوري بتضحياته أنه شعب خارق لا يلام المبدع إذا تفاخر بانتمائه إليه".

يقول تامر عن النقد في عالمنا العربي: "معظم الذين يكتبون نقداً، ينطلقون من العواطف التي لا يقف وراءها رصيد فكري صلب وواضح، فيأتي نتاجهم تعابير سطحية عن انفعالات مائعة. وحتى المحاولات التي توهم القراء بأنها تملك الخلفية الفكرية المنشودة، هي محاولات سجينة لأطر جامدة، وكليشات جاهزة، ومخططات ذهنية، وتقع فريسة لآلية تتنافى وبديهيات الخلق الفني، آلية تشنق الفن باسم الفكر المتطور المتقدم".

وعن القصة القصيرة: "القصة القصيرة هي بحق الغرفة الأنيقة التي تحتاج إلى ذوق رفيع وحساسية مرهفة لتأثيثها بعناية فائقة، وهي شكل من أشكال التعبير الأدبي القادر على التطور والتجديد".

وفي الثمانين من العمر بقي تامر مبدعا متحرراً من كل القيود، يمتلك ناصية الشعر والرمز وكثافة الكلمة..

رئيسنا المقبل: "الشعب السوري غاضب يطالب رئيسه بالتنحي والرحيل، والسيد الرئيس راغب في تقديم استقالته والاختفاء، لكن تأخرّه يرجع إلى أسباب إنسانية، فابنه البالغ من العمر تسع سنوات عومل منذ أن كان يحبو على أنه سيصبح رئيساً، وسيعدّل الدستور حتى يتاح له أن يتسلم الرئاسة في سن العاشرة، ولو قيل للطفل اليوم إنه لن يصبح رئيساً لبكى وصاح: جدي كان رئيساً وأبي كان رئيساً. ومن المؤكد أنه سيصاب بعقد نفسية لا علاج لها، وهذا أمر لا يقبله أي إنسان شريف".

بقايا رئيس: "يستطيع كل سوري ذي عينين أن يلاحظ أن ما يسمى بالرئيس السوري يزداد هزاله وتكبر أذناه، وهو هزال ليس سببه قلة التغذية أو سوء التغذية، ولا سبب له سوى الرعب من شعبه، وهو رعب يلتهم لحمه على مهل، وإذا استمر ذلك الرعب في عمله الخلاق، فلن يتبقى مما يسمى بالرئيس ما يصلح لأن يدفن في قبر، وسيختفي من دون إراقة دماء، وسيسميه خدمه بالرئيس الغائب، وسينتظر القتلة واللصوص عودته، وسيطول انتظارهم لأنهم ينتظرون عودة من لن يعود".

ويقول أيضاً: "ابتسم الرئيس، وقال للمرآة التي كان يحدق إليها بإعجاب: أرى رؤوساً أينعت وحان قطافها، ولكن يده اليمنى لمست رأسه بأصابع مرتعشة".

لا تحظى الإبادة الحالية للسوريين إلا بالحكي من قبل المعارضة السورية ودول الوطن العربي والعالم..

حكي مستنكر..
حكي مندد..
حكي متعاطف..
حكي مهدد..
حكي يقطر دموعاً..
حكي يولول..

لا شيء غير الحكي بينما السوريون المطالبون بحريتهم يبادون إبادة منظمة وحشية تنتقل من انتصار إلى انتصار.

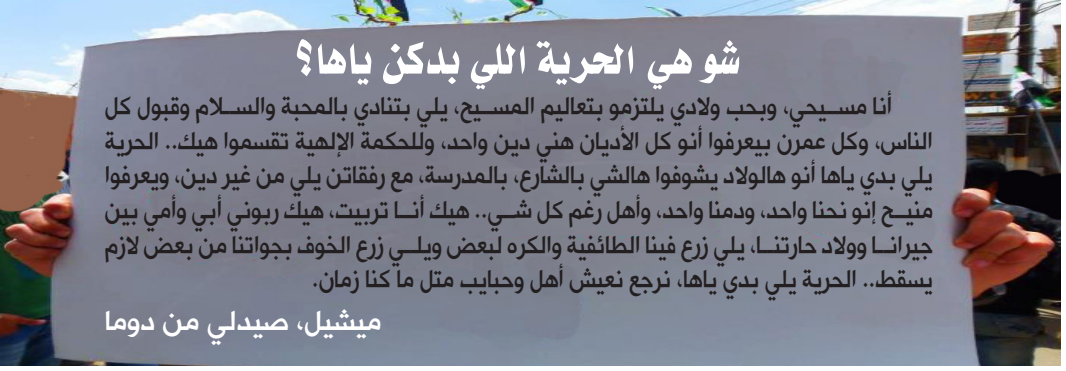

سنفورة حرة

ع فكرة لا النظام بيسقط بالشلي، ولا أخطاء الثورة رح تتصحح بالشلي كمان.. أوقفوا الشلي..

تمام تلاوي

فقط أولئك الطائفيون القذرون.. فقط المهجوسون بالطائفية.. هم من يؤوّلون كل ما تقول وتفعل بشكل طائفي.. هم لا يستطيعون التفكير بأي شيء خارج حدود الطائفة.. حتى القصيدة يفسرونها طائفياً.. حتى الوردة يستفسرون عن طائفتها.. حتى النكتة يشعرون أنها تستهدف طائفتهم.. الطائفية ليست موجودة إلا في أذهان من يفكرون بها..

فؤاد حميرة

من لا يريد الحرية فليفسح الطريق أمام عشاقها، دون ضجيج وصخب.

زياد ماجد

لروح ياسين بقوش سلامات بعدد الضحكات..

محمد الطويل

رسالة السوريين إلى رب العالمين.. يا اللّه إن طلبتني إليك فلتستقبلني كجسد واحد، فأنا أخجل من الصعود إليك أشلاء..!!

خضر الآغا

خلال الثورة السورية الكبرى بُحّ صوت سلطان باشا الأطرش وهو يقول للسوريين إن الثورة ليست طائفية وإنها لجميع السوريين وإن الفرنسيين لا يحمون الأقليات كما يروجون، بل يقتلون الجميع..

عمار سركس

في الأمس بعد أن دفن السكود في طريقه عدة أرواح صنع حفرة، اليوم كان أطفال الحي يسبحون بها فقد حولوها إلى مسبح.. هكذا يعبر السوريون فوق جراحهم ليعيشوا أحلامهم..

غسان جباعي

شيء رائع أن يكون هذا الفارق بين 15 و18 آذار، فجار الخوف الذي اخترقه السوريون كانت سماكته ثلاثة أيام فقط.

حسان عباس

اعتن جيدا بجملتك التي ستكتبها اليوم، فقد تُنشر غداً تحتَ عنوان "آخر ما كتبه الشهيد".

منيا حسون

سماء الدير، لمن لا يعرفها، هي أجمل سماء على الإطلاق.. كنت استغل زياراتي المتباعدة كي أسرح فيها نجمة نجمة، فهي وحدها من كانت تناديني ليلا، وهي وحدها من كنت ألبّي دون سواها.. كان لها صفاء بلورةٍ رقيقة نظيفة، ممسوحةٍ برفق وتأنٍ جيئة وذهاباً على عدد نجومها.. أذكر نجمةً كانت تلتمع الأكثر، وتبدو دوماً وحيدةً، منفردة بذاتها، كنت أسميها نجمتي، وأبتسم حين تلتقطها عيناي مهما كانتا حزينتين.. لم أرها منذ افترقنا تحت سماء الدير.. كانت تبدو لي دوماً أبعد من سماء أية بقعة أخرى، وكان ذلك البعد يغريني، لأقترب.. لم تكن تلك سماءً، كانت سماءات..

فادي ديوب

لم أتحول بعد إلى حجر.. ما بعرف إذا لازم انبسط ولا أزعل! بعد كل شي شفناه، فكرت أنو صار صعب أبكي.. صارلي زمان ما نزلتلي دمعة.. اليوم رجع الدمع ليزورني.. الحقيقة ما بعرف ليش.. قصدي بعرف، بس ما فهمت ليش هالمرة.. علما أنو الفيديو مو أكتر فيديو ألم ولا فظاعة.. هو صبي.. ما عم يبكي.. عم بحاول ما يبكي.. عم بحكي.. بلهجته الحلبية.. يمكن لهجته، يمكن دمعته إلي عم يمسكها.. يمكن طريقة حكيه عن قرايبينه.. عن جيرانه إلي محاهن السكود.. بس دمعته إلي حبسها نزلتلي دمعتي إلي كانت متخبية..

و يمكن لأنو الدموع لا تأتي فرادى، فيديو تاني.. بالفارسي.. يعني ما فهمت الحكي.. عن تبادل "الأسرى" عن عيون المعتقلين.. عن إذلالهن لآخر لحظة.. خلوهون يترادفو (ذكرى من ماضي بمدارس الفتوة) ويهتفو "بالروح بالدم" لسجانهن.. سجان سوريا.. هالحاجة الي عند سجانينهن لأنو يذلوهن بلحظة إطلاق سراحهن..

عن مفارقة الإيرانيين إلي صافحوا رجال الجيش الحر بحمومية واضحة.. واللّه ما بعرف!.. قصدي واللّه ما فهمت ليش رجعت الدمعة.. أكيد في شي كتير بيستاهل الدمع أكتر.. ما بعرف ليش.. بس في شي بعرفه ومتأكد منه متل تأكدي أني ما صرت حجر.. هالصبي.. هالمعتقلين إلي عيونهن نطقت الإذلال والوجع إلي عاشوه.. هدول سوريا.. هدول شعبي.. هدول حافزي لعيش منشان يجي اليوم إلي فيه رح نقدر نقول لهالصبي: لأ مو حكم القوي عالضعيف إلي انتصر.. لهالمعتقلين إلي انجبرو يهتفو لسجانهن: اليوم بدنا نهتف سوا ومن قلبنا.. للحياة.. للحرية.. للكرامة.. و رح نوصل.. رح نوصل.. ما رح نصير حجار.. رح نبقى بشر.. ورح نضل ننادي بالحرية.. بالمحبة.. بالكرامة.. وغصبن عن النظام والعالم كله..

ندى كرامي

يسقط الدين وتسقط الطوائف وتسقط اللغة والعرق والقومية، عندما تكون العذر ليقتل الإنسان جاره وشريك طعامه ومجلسه، عندما تُبرر تحول الإنسان إلى وحش.

محمود الشرا

سقوط النظام لا يعني سقوط الاستبداد، بل سقوط العائق أمام البدء بمرحلة إسقاط الاستبداد.

طريف الخياط

حرية.. حرية.. حرية.. هي مبتدأ الثورة، ويجب أن تكون منتهاها.. شاء النظام أو أبى وشاءت الثورة المضادة أم أبت، فهذا الشعب حر يكلل رأسه بهالة الكرامة..

سعاد جروس

مجالستي للمثقفين صارت قليلة جدا، ولكن كلما التقيتهم في جلسات نقاش مطولة، ترسخت قناعتي أن تبادل حديث عابر مع أي شخص عادي في الشارع، يمكن أن تمنح فهم واضح للواقع أكثر بكثير مما يمنحه مثقف جهبذ. لا أعرف سر إرهاق المثقف نفسه والآخرين بتعقيد البسيط، وتبسيط المعقد..!!

مصطفى الجرف

أكثر من يعتبرون أنفسهم مثقفين ديمقراطيين، ممّن يملكون معرفة معتدلة يعتقدون أنها تمكنهم من الحكم على الأشياء بيقين مطلق، ومنهم حتى زعيم الشبيحة نفسه.. يعيبون على الثورة السورية افتقارها إلى الأهداف الواضحة والرؤية الواحدة الواضحة والتنظيم الواحد الواضح والقيادة الواحدة الواضح.. وإلى كل ما يمت إلى الوضوح والوحدة بصلة.. ويتهكمون عليها قائلين إنها ثورة "كل يغني على ليلاه" أو ثورة "كل مين إيدو إلو"..

لا يرى هؤلاء أن المجتمعات التي قادت ثوراتها جماعات موحدة منظمة ذات فكر واحد وقيادة واحدة وأهداف واضحة، قد عانت من العبودية الشمولية البغيضة بعد انتصار تلك الثورات في ظل حكم القادة الثوريين.. ولو أنهم امتلكوا شيئا من البصيرة لرأوا أن ما يعتبرونه نقيصة كبيرة في هذه الثورة، هو في الحقيقة ميزتها الكبرى.. وهو الضمانة الواقعية الوحيدة للجميع، التي لا توجد بعدها ولا قبلها ضمانة، بأن ما ستؤدي إليه لن يكون في النهاية شيئا آخر.. غير الديمقراطية!..

سمير سعيفان

بمناسبة أن هذا حدث ويحدث بشار الأسد علوي ومعمر القذافي سني وصدام حسين سني والخميني والخامنئي شيعة وعمر البشير سني وميلوسوفيتش أرثوذكسي وقادة إسرائيل يهود وستالين أرثوذوكس، وجميع هؤلاء وأمثالهم كثيرون ارتكبوا مجازر وحشية بحق من عارضهم، ومن يقتل المسلمين في ميانمار بوذيين، وبتاريخ الكاثوليك والبروتستانت مذابح لا تعد ولا تحصى. وعندما كتب عبد الرحمن الكواكبي كتابة عن الاستبداد كان يقصد الاستبداد العثماني "السني" ورغم هيك يتنطح البعض ليفسر السلوك الوحشي الإجرامي لهذا المستبد أو ذاك بتفسيرات طائفية أو دينية مذهبية أو عرقية. بينما ببساطة المستبد هو المستبد، والاستبداد هو الاستبداد، سواء استبداد العسكر، او استبداد باسم الدين أو بأي مسمى آخر. الاستبداد بلا دين، بلا هوية، بلا وطن، وإذا كان السوريون قد ثاروا ضد الاستبداد بعد نصف قرن ومن أجل بناء الدولة الديمقراطية القائمة على قيم المواطنة و"واحد.. واحد.. واحد.. الشعب السوري واحد" فعليهم ألا يقعوا في حبال التفسيرات الطائفية، وردود الفعل الطائفية التي تضل طريقهم عن هدفهم المنشود، وألا يقعوا في الفخ الذي نصبه لهم النظام منذ اليوم الأول عليهم ألا يحققوا الغاية التي تخدم النظام وعمل من أجلها، عليهم ألا يتصرفوا برد فعل مذهبي طائفي يؤدي في النهاية إلى استبدال استبداد باستبداد، وتكون كل هذه التضحيات قد ذهبت هباءا منثورا.

عمر حداد

الثورات مراهقة الأوطان و كما يعيد الفرد اكتشاف ذاته و تكوين شخصيته في المراهقة كذلك هو الوطن و كما تبرز أزمة الهوية لدى الفرد في مرحلة المراهقة كذلك تكون أزمة الهوية الوطنية في أعلى أطوارها في المراحل الثورية من التاريخ وكما أن الفرد لا يستقر إلا في حال تحقيق الهوية الذاتية كذلك علينا الإدراك أن وطننا لن يستقر إلا بتحقيق هويته الوطنية.

كنت أرى بريقاً من عينيه يكتب لا تطفئوا الشموع، زينوا عالمكم النحاسي ببعض منا.. نحن الواقفين على أرصفة عالم الزحام والعجلة والسباق التكنولوجي ودخان عوادم السيارات ونفاق مجلس الأمن وأبحاث تسمين دجاج كنتاكي الوحشية!!.. لا تقتلونا!! نحن نرجس عالمكم المتصحر، نحن ما تبقى من نجومكم يا عالماً أدمن إطفاء النجوم وإشعال الحرائق، نحن سحابات المطر الرقيق في دنياكم التي جرفها طغيان اليورانيوم المشبع والتخصيب والتجارب والمناورات!!.. كان بحشرجة صوته يستحضر أنغاماً قدسيه من عوالم بعيدة آسرة، كان يهوي كأنه الحق والمطلق والخير والجمال كان يقول: اتركوا دانيال دي لويس وأوسكاره فهو يمثل (المزيفون)، تعالوا.. الآن هنا في العسالي يستحضر السؤال الأبدي عن كنه الوجود، هنا - تعالوا - فتشوا عن غراب قابيل.. عن موسى الهارب تحت جنح الليل، عن وحشة البئر وتساؤلات الطفل البريء عن ذنبه، عن المنتشي بذلك التناغم بين حرق المدينة وعزف القيثار، عن محاكم التفتيش، عن صراخ رضيع حول جثة أم قرب النواعير.. عن وعن وعن!! .. عن اللغز العظيم الذي ما زال يتنقل عبر عربات التاريخ: الإنسان الوحش.. ذلك المجهول!!

ياسين أيها البسيط الطيب الإنسان، من يفوح مسكاً وعنبراً وبخوراً من كفين حانيتين، لعينيك وقلبك وروحك الرحمة!! ولقاتلك اللعنات الأبدية!!

ديانا الجابري

حجر دمشقي آخر.. (إعلان حرب)

تردّدتُ كثيرا أن أروي سيرة قلبك.. كان لا بدّ أن تتمالك نفسك.. وأنت تنشج المدينة بمرثى حزين طويل كمن يستعد لاقتلاعها من زمنها الأموي.. هذا التألم اللامبرر يجعلك ممتدّاً للأليف الذي فيك أيها الوحش الصغير.. يجعلك عابراً في الكلام والقصيدة واللغة.. مبدداً مثل دخان سجائرك أمام البيان الأنثوي للفكرة. الأمكنة لك بكل طنافسها وأجرها ومواثيقها وكتبها وكمائنها التي تتضح معالمها في عبورك.. ولضجرك أيضاً هذا الهواء المدحور في المعركة وتراجع العاشق مخذولاً خلف دريئة إيروسية الحروب.. ولك أيضاً كل هؤلاء الجرحى الذين يتوسلون الضربة الأخيرة من الموتى.

كنت على شفا ضفة قلب. تنبعث بشهقة بائدة. تلج مدناً تبحث عن حروبها فلا تجدها فتلدها في كل حرف بيننا.. تشهرها من ومض خباياك المعدة للانفجار.. في علبة تبغك.. في الظلال الفضية لمرآتي الصغيرة وأنت تلمع خلفها وعند أقدام ريح متعثرة.. في التفاف الساق فوق الساق.. في قبعات البخار والحدائق المهملة والقطعان الشاردة والمقابر الذي تدل الموتى على عظامهم.. والمذنبات الشاردة على مداراتها..

بين كل لفافة ولفافة.. يتصاعد هذا الغمام حولك وتتوالى التجليات والرؤى لتروي لي سيرة قلبك الأقحواني الصغير كحبة خوخ طري.. في الهضب الأشد للكمال يروي ويروي على قطرات شمعة ذابلة يروي كي تحلق مع أول عبوة تتألق موتا لننجو كما كلّ سوء ظن من الموت الذي لا يميت.

ميرال صيداوي

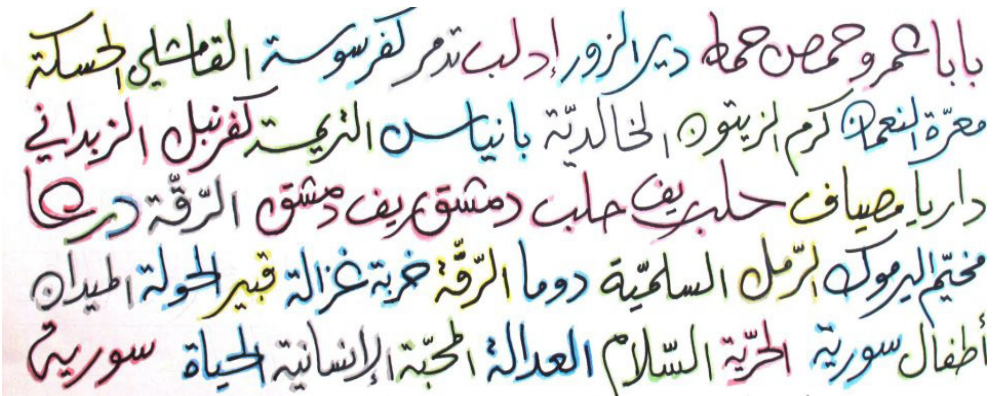

صبارة سوريتنا

صبارتنا حيث لا أحد فوق النقد..
باب ناقد ساخر يتناول مواضيع سوريتنا..
مجتمعنا وثورتنا..

Free Syrian

رسالة إلى الأمير أبو القاسم الجولاني حفظه اللّه ومجاهدي جبهة النصرة ومن لف لفها..

تحي طيبة وبعد

(تحـي وليـس تحيـة.. فتحية أنثـى والأنثى عـورة والعورة فتنـة والفتنة معصية والمعصية تدخلنا النار جميعا وخود على شوي وشلوطة)

بمـا أنكم عاقـدون العزم على تطبيق حد الردة وذبـح المرتدين.. نرى أن تقوموا بتفخيخ أنفسـكم وأن تطبقوا الحد والحامض على أول زنديق تصادفونـه وبذلـك نضـرب عصفورين بحجـر.. نكون قـد تخلصنا من زنديق أولا وتكونون قد فزتم جميعكم بجنان الخلد وما أعظمه من فوز!

رسالة من مسلم (على أبواب الارتداد بفضلكم وفضل أمثالكم)

برعاية التيار الصهيوصليبي العلماني الليبرالي اليساري الماسوني الغربي السوري

فلسفة:

لـو لم توجـد إسـرائيل لكنا أوجدناهـا بأيدينا لكـي نعلق عليها فشـلنا وخيباتنا واحباطاتنا..

كفانا من شماعة إسرائيل والغرب..

دعونا ننظر لمصائبنا السياسـية والاجتماعية والاقتصادية بشيء من الموضوعيـة والعقلانية لأننا إذا اسـتمرينا في ترديد اسـطوانة المؤامرات المشـروخة وتعليق فشلنا عليها فلن نتمكن من مواجهة الفشل وسنبقى فاشلين..

توضيح:

بخصوص البوسـت يلي تساوا فيه مقارنة بين جرائم عائلة الأسد وجرائم إسرائيل بحق سوريا والشعب السوري..

مـن الواضـح انو في جـزء كبير فهـم انو هاد البوسـت كان دعوة للتطبيع مع إسرائيل وعدم اعتبارها دولة عدوة..

بحـب أكـد باسـمي وباسـم كل ادمنيـة الصفحـة والمشـاركين بالصفحة ويلي هنن جزء أساسـي فيها انو البوست كان مجرد استعارة بلاغية ونقد سـاخر وما كان بيهدف بأي شكل الأشكال الدعوة للتطبيع مـع إسـرائيل يلي هيـة بالنهايـة كيان قائم ومتمسـك بالممارسـات العنصرية والعدوانية والإجرامية المعادية لكل معاني الإنسـانية والسلام تجاه سوريا وفلسطين ولبنان..

وبالمناسـبة هاد الأسبوع هو الأسـبوع العالمي لمقاطعة إسـرائيل العنصريـة.. ويدعو الكل ليشـارك فيـه وخصوصا المغتربيـن بأوروبا وأمريكا عن طريق توعية الشـارع الغربي لممارسات إسرائيل المعادية للقيم الإنسانية.

المعارضة السورية

المحشش السوري الالكتروني

- 1 -

قـال جماعـة مؤتمر رومـا بدهن يعطونا مسـاعدات غير قاتلة، ومساعدات تانية للاجئين.. انه ليش ما يعطونا مساعدات تمنـع القتل، وبالتالي تخفف عدد اللاجئين؟.. يعني لايمت بدهن يضلو يعالجو النتائج وليس الأسباب

- 2 -

بخصوص موضوع صواريخ السـكود والخلاف عليها، يعني في شي فعـلاً مضحك مبكي.. بتقعـد بتناقش احد ما انه يـا أخي معقول نظام يقصف مدنه بصواريخ سـكود يلي عم تشـيل الشـوارع مـن مكانها وتدمر مدن وشـوارع كاملـة على أصحابها، بيجي بـكل جرأة وثقة بالنفس بيقول انه القصـة كلها كذبة ومافي إطـلاق لصواريـخ سـكود واصـلا صواريـخ السـكود مخصصـة لقتال إسـرائيل والموضـوع إعلامي بحـت وصاروخ السكود هيك طوله وهيك عرضه وبيعملك درس عسكرية ليثبتلك انه هاد مو صاروخ سكود وبيضحك عليك انه كيف مصدق هالقصة.. يعنـي هيك نماذج بتذكرنـي بالنكتة تبع يلي قالولـو مرتك عم تخونك بالغابة قام راح ورجع قلون حكيكون غلط كلهن شجرتين ما اسمهن غابة

لك حبيبي هاد مو صاروخ سكود هاد صاروخ اسمو التحميلة منيح؟؟

المهم ليش عم ينزل على حلب وشمال سوريا ويشيل أحياء بكاملها بحجة قصف كم ارهابي؟

تركتلي المصيبة يلي عم تصير والدمار والشهداء ولحقتلي اسم الصاروخ انه نوعو مو سكود؟ إي هو مو سكود بس انت سكوت..

لا تشـلشـنا مشـلوشـين

- 1 -

النظام بـدو يضـل معلق «صورة الكرسـي» على كل شي في حيطان بالبلد..

والمعارضة بدها تعلق «سورة الكرسي» على كل شي بقيان حيطان بالبلد..

ما بيـن السـورة والصـورة بيطلع معـك بأخر النهار إنو كل مشاكلنا من ورا الكرسي..

وبنفس الوقت الحل بالكرسي..

كيف يعني؟؟

يعني بس يجي الوقت اللي نقهدهن لهالمجانيـن علـى كرسـي الاعتـراف، ويعترفوا ويقرّوا بكل جرائمهن دفاعا عن الكرسي.. ونحاسبهن كلهن..

سـاعتها بس كرسـي الاعتراف بصير كرسي هزاز، وبتهدئ البلد وبتروء..

وقتهـا بتسـتريح الحيطان من كل السور والصور والكراسي..

ومنحافظ على حيطاننا، ومنعمّر حيطان جديدة..

- 2 -

الولايـات المتحـدة تريـد الحفـاظ علـى وجودهـا بالشرق الأوسط

روسـيا تريد الحفـاظ على وجودها فـي البحور الدافئة..

الصيـن تريـد الحفـاظ علـى وجودهـا علـى شـواطئ شـرق المتوسط

أوروبـا تريد الحفـاظ على موطئ قدم شرق المتوسط

الدول الإقليمية تريد الحفاظ على وجودها في سوريا

الدول العربية تبحـث تعزيز وجودها في الغطر الشغيغ السوري..

هلق الشـعب السوري يحافظ على وجوده أو ما يحافظ هون بقى موضوع ثانوي.. الحضارة السـورية تحافظ على وجودها أو ما تحافظ.. كمان مو مشكلة

المجتمـع السـوري.. آآآآخـر همنـا، المهـم الدول ومصالحها..

خيو نحنا الشعب السوري رح نحمل حالنا ووجودنا ونترك البلد..

لأنو وجودنا على وجودكن عم يعمل مشكلة.. وبحكـم أنو وجودكـن «حق مشـروع» وقضايا عادلة» و«ومصالح إسـتراتيجية».. بقى يبدو المشكلة بوجودنا.. بتوصونا شي؟

* لوين رايحين؟

- رايحيـن نحافـظ علـى وجودنا..

هُنا دِمَشق

■ سيامند حسين

(يوميات ومشاهدات) 23 شباط 2013

كان العميد المسؤول اليوم عن إطلاق الصاروخ الأول، ما يزال في غرفة الرادار، في اللواء 155، ينتظر وصول إحداثيات مبنى يستخدمه الإرهابيون كمخزن للسلاح في الشمال- بحسب تقارير جهاز الاستخبارات المُستحدثِ على الفيسبوك-. راح العميد يفكر في قرارة نفسه: "هل استولى الإرهابيون على الريف الحلبي بالفعل، بحيث لم يعد باستطاعة أحد من المخبرين الكُثر إرسال تقرير ميداني من هناك؟". ليس لدى العميد فيسبوك، لتكذّب عيناه جاهدتان مئات الصور ومقاطع الفيدو التي تُصنّف أحياء ومناطق تهوي واحدة تلو الأخرى من خرائط نظام الأسد رسمياً، بتواقيع لا يشبه أحدها الآخر قط: "انهيار كوميديّ لرمز القبضة الفولاذية: تماثيل الأب المعجونة في ورشات الهواة من انتهازيّ النظام؛ تماثيل للرجل كاملاً بالطقم وربطة العنق؛ بعضها بجذع مبتور بلا يدين، اختلت فيها النِّسب في حجمِ الرأس؛ أخرى هي رؤوس فقط برقبة ثخينة وقصيرة. تماثيل ما زال عددُها الحقيقيّ يتعذّرُ على السوريين حصرُه. لا شكّ أن هناك مستودعاتٌ ملئية بها، هناك أقبيةٌ، وبراداتٌ، وصناديقُ وحزائنُ لا زالت تضيقُ بها". قبضة نظام الأسد التي كانت تمتدّ إلى داخل بقاليات الحيّ، وتتلصّصُ على حياة زوجات الضباط الحميميّة، وتضجرُ في روضات الأطفال، وتُبحر في قوارب الصيادين المهترئة في سواحل اللاذقية، وتتنصّتُ على اجتماعات الأحزاب الكردية المحظورة، وتتصنّعُ الاستمتاع في مهرجانات الشراكس الفلوكلورية، وتتنكّرُ في مجالس مشايخ الدُّروز المغلقة، وتنامُ ليلة القدر في مسجد صغير في قرية طينية متاخمة لنهر دجلة الحدوديّ، وتسرقُ شمعةً في عيد الميلاد من دَيْرٍ منسيّ على طريقٍ وعرةٍ إلى جبل سمعان،...

تصله أخيراً رسالةُ الـSMS على موبايله ذي الشاشة الضخمة، يقرأها مُستنكراً شيئاً مّا فيها. يتصلُ متوتراً بقائد اللواء:

- «سيدي وصلتني الإحداثيات لكن بدون كسور!».

- «هاد الموجود، أصلاً المعلم ما يحب الكسور». يردُّ الضابط اللواء بنبرةٍ مُنكهة بسخريةٍ خفيفة تكادُ لا تُلتمس. تنتهي المكالمة. يستغرقُ العميد في حيرة لا تطول كثيراً، يتذكر كيف كان الضباط السوفييت يركزون على دقة الإحداثيات آنذاك، مُتفاخرين بدقة السلاح الوطني الفتّاك، عندما ذهب قبل أكثر من عقدين، إلى مدسة عسكرية في لينينغراد، لاتّباع دورة مكثفة عن منظومة سكود. أنهت رسالة أخرى صمته. كان محتواها أسوأ مما توقّع: "يلا... أطلق".

أعطى أمر الإطلاق، بعد أن مرّرَ البيانات في عجلة. لأوّل مرة أحسّ بعرق بارد أخذ يُبلّل ظهره بسرعة ملحوظة. تذكّر الميلانوما، السرطان الذي حدّثه ابنه الطبيب عن سرعة انتشاره في الجسم. في ساحة اللواء الواقع بالقرب من بلدة القطيفة، كان الغروب في أوجه، يكوي بأخر شعاعات الشمس الباردة صدغيه المبللين، قبل أن يعكس وجهُه احمرارَ الوهج المنبعث من منصّة الإطلاق.

تشتعل القاعدة ويدفع المحرّك الطلقة الروسية العملاقة المخصّصة لقتل الحارات والقرى، تصعدُ مترنحةً في الهواء بسرعة منخفضة نسبياً، مبددةً بذات البطء يقينَ العميد بالعلوم العسكرية، وبأبدية البارود والحديد حين كان يقول لجنوده مازحاً: إن السكود ليس كالونسروة التي تستسلم للزمن أخيراً.

قبل أن تكتمل الدقيقة الثانية تضغط عشرات الأصابع مفتاح Enter لتقذفَ بخبر الإطلاق "بوستات" عاجلة على صفحات الإنترنتَ الزرقاء: "تم الآن رصد صاروخ سكود فوق سماء رنكوس متجهاً إلى الشمال السوري، الساعة 5،45 م الرجاء النشر على أوسع نطاق، جزاكم اللّه خيراً"، وهكذا ينشطر الخبر آلاف المرات منتقلاً من صفحة إلى أخرى، ومن هاتفٍ إلى آخر، وقد يصعد سيارة أو دراجة ليصل لاهثاً -أو لا- إلى قرى ترزحُ بلا كهرباء أو اتصالات تحت وطأة عقوبات القصر الملكيّ في دمشق.

لو كان للسكود عيونٌ لتسنّى له رؤية العائلات التي صعدت على أسطح المنازل: يُشيرُ الشبان بأصابعهم إليه وهم يتلفظون بكلمات لا يسمعونها هم أنفسهم، ويُغلق الأطفال آذانهم بأكفهم، حيث هديرُه يضغط طبقات الهواء فتنبسط على البلدة كثيفةً ومَهيبة. لرأى كيف توقفت السيارات، والناس، والقطط في الشوارع، كما لو أنّ الحياة توقفت للحظات، بانتظار أن تُستأنف من جديد بجرعةٍ أخرى من الحزن والتحسّر.

فوق يبرود، البلدة المجروفة بصقيع شُباط: كان سيرى انفراط الناشطين المُتجمعين في إحدى الساحات، كنمل يهرب من ظلّ قدم على وشك أن تنزل فوقه، يهرعُون إلى منازلهم ليكتبوا عنه السطر الثاني: "سكود فوق يبرود، الساعة 5،46 م"، بينما في الحي الشمالي على أطراف البلدة سيرى الصبيّ الذي توقف عن دحرجة إطار حديديٍّ بواسطة عصا رافعاً إياها في وجهه متوعداً.

سيتجنّبُ، بالطبع، رؤية دمار حمص في الأسفل على يساره، ولن يمتدحَ كثيراً ما فعلته أخواته الصغيرات: القذائف العنقودية، وحشوات مدافع الهاون والدبابات، وصواريخ الطائرات؛ وسيُؤَاثِرُ النظرَ أبعدَ إلى بحيرة قِطّينة، دون أن يتمكّن من رؤية الأسماكِ التي طفتْ على السطح وكأنها ميتة تتبّعه بعيونها ذات الرؤية المُحدّبة الواسعة، أو رؤية فئرانِ الحقول المجاورة التي تتمسك بالأرض، وهي تشعرُ بموجات الاهتزاز تصعد منها...

سيرى بصعوبةٍ مدينة سَلميّة على يمينه، قبل أن تبتلعَه الغيوم الداكنة المرصوصة كقطن غُسلَ بماء عكر. بالكاد سيلحظ نشاط حركةَ الدراجات النارية الكثيرة، وهي تتركُ خلفها خطوطاً حمراء وصفراء رسمتها بأضوائها الأحادية على بدايات العتمة. سيُضيفُ أهل سَلميّة السطر الثالث: "مشاهدة خط من الدخان يُرجّح أنه عائدٌ لصاروخ سكود، 5،48 م الرجاء التأكيد والنشر فوراً".

بعد ذلك لم تصل أيّ تقارير جديدة عن مصير السكود، لقد اختفى عن الأنظار فوق جميع قرى ريف حماة الشرقي، بعد أن بلغ ذروة مساره المداريّ فوق الغيوم، التي احتشدت أيضاً على ارتفاع منخفض على طول الطرق المفضية إلى سَماء بلدات ريف حلب. جميع من علموا بالخبر من أهل المنطقة، خرجوا من بيوتهم، بعضهم إلى ملاجئ المدارس، وبعضهم الأخر إلى أراض مفتوحة لا طوابق أو جدران فيها. كنّا نحن، من أصبحنا في أمانٍ خلفَه خطُ الدخان كطعنةٍ في عيوننا المُثخنةِ بأسى قديم، ننتظرُ حدوثَ معجزة أخرى.

في إحدى حقول الريف الحلبيّ المُمعن في قلقه، تتراجعُ كل مساء، إلى باحات البيوت والغُرف الفارغة، ضحكاتُ وانفعالاتُ صبيةٍ كانوا يلعبون حتّى الغروب، في حفرةٍ قطرها عشرون متراً، وعمقها خمسة أمتار.

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (51025)

دمشق: 3765
ريف دمشق: 11292
حمص: 8317
درعا: 4445
إدلب: 6239
حلب: 7884
دير الزور: 3438
الرقة: 448
السويداء: 42
حماة: 3840
اللاذقية: 716
طرطوس: 74
الحسكة: 280
القنيطرة: 133

3726 عدد الأطفال الذكور
1649 عدد الأطفال الإناث
3388 عدد الإناث
9660 عدد العسكريين
41365 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 2 / 3 / 2013
http://vdc-sy.org